

# البراري



د. عمر الفاروق السيد صبي





# البكرى

د. عمر الفاروق السيد شبيب



المكتبة الوطنية السودانية المسماة للكتاب

١٩٨٦

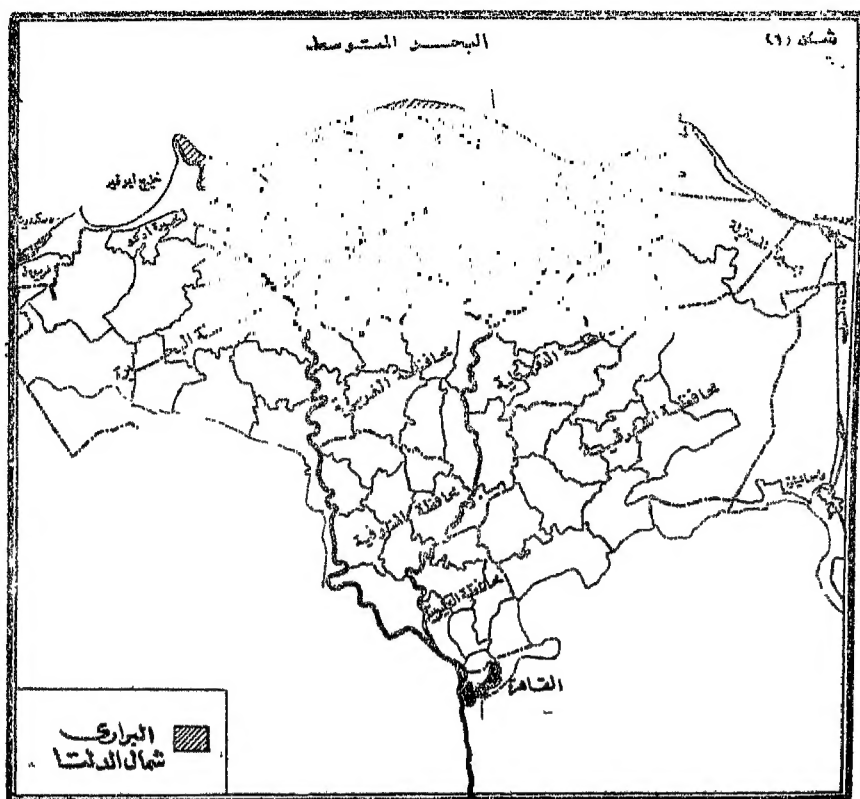
الاخراج الفنى : مراد نسيم

## مقدمة

البرارى « شمال الدلتا » محافظة كفر الشيخ ، هي تسميات لمنطقة واحدة في مصر ، وان تفاوتت حدودها فيما بينها قليلا ، أصبحت التسمية الأولى منها - البرارى - تاريخية ، أما الثانية - شمال الدلتا - فهي جغرافية مكانية ، والثالثة - كفر الشيخ - تنظيمية ادارية .

لقد تلاشت « البرارى » كظاهرة بقيت تشغل الثلث الشمالى من دلتا النيل منذ نهاية العصر الفرعونى وحتى بدايات القرن العشرين ، تقلصت تدريجيا وتزحزح خط البوار القديم نحو الشمال فدانا بعد فدان ، بفضل جهود سكان الدلتا من المزارعين ، واختفت ظواهرها من السياحات والخرازي والمستنقعات ، وحلت محلها خضرة الزراعة والمحاصيل ، وتكاثرت بها القرى والكفور والعزب ، حتى شارف العمران ساحل بحيرة البرلس الجنوبى (شكل ١) ، وانتهت البرارى - أو كادت - جغرافيا ، وان ظلت دلالاتها التاريخية والحضارية ماثلة فى هذا النطاق من دلتا النيل ، سواء كصفحة مطوية من تاريخ الدلتا العمرانى الطويل ، أو كبقايا متناثرة تدل عليها هنا وهناك ، ما تزال تعطى لهذا النطاق بعضا من سماته وخصائصه ، أو كنموذج لجهد الانسان فى تغيير المكان .

أما شمال الدلتا .. فهو ذلك النطاق منها الواقع بين فرعيها جنوبى ساحل البحر المتوسط ( صفر ) وخط الارتفاع المتساوى + ٣ أمتار فى دلتا النيل ، يمثل الخط المذكور النهاية الشمالية للأراضى المزروعة حوضيا فى الدلتا حتى القرن التاسع عشر ، وإلى الشمال منه كانت فروع النيل ومجاريه الطبيعية تتدفق حرة فوق سطح الاقليم منتهية الى بحيرة البرلس أو الى البحر المتوسط ، والواقع أن حركة تعمير دلتا النيل - التى بدأت منذ العصر الحجري الحديث المعروف بالنيولوتى Neolithic - لم تتجاوز خط ارتفاع + ٣ أمتار الا نادرا ، وذلك منذ بدأت وحتى منتصف القرن التاسع عشر على وجه التقريب ، وانقسمت الدلتا عمرا نيا طوال هذه المدة الى قسمين : يقع الأول بين رأسها جنوبا ( + ١٢ م ) وحتى خط ٣ أمتار شمالا ، متميزا بعمرانه الراسخ الفرعونى القديم ، أما الثانى فقد تأخر تعميره الى منتصف القرن التاسع عشر ،



( شکل ۱ )

واستكمل - وما يزال - مظاهره من السكن والزراعة طوال أكثر من قرن من الزمان .

أما « محافظة كفر الشيخ » ، التي تكونت في منتصف القرن العشرين تحت تسمية « الفؤادية » (١٩٤٩) ، فتحتل الإطار الإداري الذي احتوى نتائج قرن التعمير ، وتضمنت منذ تكوينها معظم ذلك النطاق المعروف تاريخيا بالبراري وجغرافيا بشمال الدلتا ، وذلك فصلا له عن المديرية القديمة المعروفة بالغربية ، فقد ظلت الغربية تشرف على البراري إداريا منذ عهد محمد علي ، ولم تكن البراري تمثل طوال هذه الفترة عينا إداريا ثقيلا ، فقد كانت في معظمها قليلة السكان متناثر السكان خفيفة الوزن اقتصاديا ، وتغيرت الصورة تدريجيا ، وتكاثف العمران شمالا ، حتى لم يعد في مقدور « طنطا » - عاصمة الغربية - أن تملك دائرة خدماتها في اتجاه هذه الهوامش المتباعدة ، وأصبح من الضروري

تكوين هذا الاطار الادارى الجديد ، ليستوعب هذا العمران النامي شمالا ،  
وليتيح له امكانيات النمو فى شتى مجالاته .

ويمكن القول بأن هذه المنطقة من دلتا النيل ، تقدم ميدانا نموذجيا  
لتوضيح تأثير العوامل الحضارية والتاريخية فى خريبتها العمرانية  
بعمامة ، كما تثير التساؤلات والاحتمالات حول امكانية ضبط مسارات  
نموها ، والتخطيط لها ضمن خطة تنمية اقليمية متكاملة ، وذلك لأسباب  
تتصل بكونها تمثل - الى حد بعيد - وحدة اقليمية متميزة ، مازال  
بنيتها فى حالة تسمح بالتغيير الموجه والتخطيط ، ورغم ذلك .. فليست  
محاولة اقتراح خطة تنمية اقليمية لهذه المنطقة بيسيرة ، ولذا يجدر القول  
بأن هذه المحاولة ( والتى ستأتى تفصيلا فى القسم الأخير من هذا  
الكتاب ) لن تتضمن سوى اقتراح بتغيير خريبتها الادارية الحالية ، وذلك  
كبداية لابد منها قبل الشروع فى وضع الجوانب الأخرى من الخطة العامة  
لتنميتها الاقليمية الشاملة ، وهى بداية تطرح بصفة عامة القنويات  
الأساسية لما تحتاجه هذه المنطقة من برامج التخطيط ، ولما تقدمه امكانياتها  
ومواردها الخاصة لهذه البرامج من مقومات مكانية واقتصادية ، وهى -  
آخر الأمر - بداية تحتاج الى تدعيمها بعدد آخر من الدراسات فى شتى  
التخصصات ، المتضافرة جميعا بهدف التنمية الشاملة لمنطقة من أرض

هـ ص ٥





القسم الأول

---

البرية



## البرية

البرية التي لم تعد برية ، والبرارى التي أصبحت تاريخية ، كيف أفعمت كلمة البرارى فى دلتا النيل تلك الدلالات العميقة عن الفراغ والتوحش والفضاء المتسع غير المسكون ، وتمثلت صورتها فى تشكيلات من المستنقعات والهيئش والخرأى ، تمرح فيها الثعالب وأبناء آوى ، وتجوسها الضباع والذئاب ، وتلبد فى بوصها الأفاعي والثعابين ، يسكنها « البراوى » فى عشة منفردة بدائية ، يتردد على « تايته » المنعزلة ، ويصيد البقر الجفال أو يرعى بعضها المستأنس ، البرية الموحشة والبراوى المنفرد ٠٠ تلك صورة قد اختفت أو كادت ، ولم يبق منها الا ثمالة ذكريات باهتة فى رؤوس من بقى من مواليد القرن الماضى من المسنين ، أولئك بقايا من سكنوا البرارى أو زحفوا اليها ، ينتزعونها بأيديهم وفؤوسهم من مخالب الملوحة وبرائن البوار ، وينشرون الحضرة فى أنحائها شبرا فشبرا ، وفى أقل من ثلاثة أجيال ٠٠ اختفت البرارى أو كادت ، ولكنهم ما زالوا يذكرون المستنقعات التى ردمت والبرك التى جففت ومياه البحيرة التى صرفت ، والهيئش الذى اجتث والبوص الذى تراجع شمالا ، والضوارى التى انقرضت والزواحف التى فرت ، والآن قد دانت لهم دنيا البرارى الواسعة ٠

### — هتى أصبحت الدلتا صالحة لسكنى الانسان ؟

لقد كانت الدلتا بأكملها يوما ما « برية » ، وكان التاريخ المصرى بدائيا تمضى سنينه بلا شيطان ودون حساب ، ومنذ هبط انسان العصر الحجري الحديث من الهضبة التى أخذت فى الجفاف بعد انتهاء عصر المطر الأخير ، ومنذ أخذ فى الاستقرار على طول الوادى وهوامش الدلتا ، وهو ينزع عن الدلتا بريتها ويخلص الزمن من بدائيته بما يشقه له من قنوات التعمير وبما أصبح له من أهداف تتجاوز مجرد البقاء ، لقد تحرر تاريخ الوادى والدلتا من مادة الزمان الهلامية منذ ذلك الحين ، وانطلق مع

تحكم أولئك القدماء ، وضبط مع تقسيمهم اياه لسنين وشهور ومواسم وأيام ٠٠. وأصبح لمزور السنين فى هذه المنطقة من العالم ومنذ ذلك الوقت المبكر معنى ومغزى ، لقد أصبحت السنين تعنى التاريخ ، وتدقق التاريخ المصرى مع الاستقرار والزراعة والتعمير .

— وتثبت الدراسات الاركيولوجية الحديثة ٠٠ ان حضارة الدلتا لا تقل عن حضارة الصعيد سناً أو عراقاً ، بل وكانت طوال عصر ما قبل الاسرات ٠٠ تمتاز بكبر قراها واتساع زماماتها ، اتحدت فى مملكة الشمال ٠٠ وكانت عاصمتها « بوتو » ( هى ابطل الحالية من توابع مركز دسوق ) ، تلك المدينة القديمة التى خلفت « تحوت » كعاصمة للوجه البحرى ، وكما أنها « — تحوت » — قد وهبت حورس المجنح الى الشعارات المصرية ، فان « بوتو » قد وهبتها الالهة الحية « أوتو » ، وأصبحت الكوبرا تلمع فوق جبهة كل فرعون مصرى ، ولا يوجد من آثار « بوتو » الآن — سوى أكوام متماسكة من الأنقاض .

— والمرجح أنه قد سادت فى مصر خلال العصر الحجري القديم الأسفل ( انتهى من ٥٠ الف سنة تقريباً ) ، فترتا جفاف نسبي ٠٠ بينهما فترة ممطرة نوعاً ، بدأت تتحول نحو الجفاف تدريجياً حتى قاربت الظروف الصحراوية للحالية ، وفى نفس الفترة بدأ النهر مرحلة ارسابية ، وخلالها نزل انسان هذا العصر الباليوليتى من الهضبة ، واستقر قرب الخطوط العليا للنهر ، وتعتبر المصاطب الحصوية على جانبي النهر بمثابة سجل للعلاقة الحساسة بين التغيرات المناخية ٠٠ وحركة نزول الانسان الباليوليتى من الهضبة الى الوادى تدريجياً ، وغالباً ما كان رعاة وصيادى الباليوليتى يتحركون نحو حدود السهل الفيضى فى أوقات الجفاف ، وأصبحت السدود ضرورية لحماية مراكز السكن عند تلك الخطوط ٠٠ خاصة أثناء الفيضان المرتفع ، وهى خطوة تعد بداية ظهور القرية المستديرة المحمية بالسدود ، وكان ظهور تلك المراكز على شكل خطوط تمثل مراحل النزول ، وهى العملية التى صاحبت تعمير الدلتا منذ ذلك الحين ، ورغم أنه لم يعثر على مراكز سكن تنتمى للباليوليتى داخل السهل الفيضى ، بل هى دائماً على حدوده ، الا أنه من الممكن القول أن الدلتا قد أصبحت صالحة لسكن الانسان منذ ذلك العصر ، كما لم يعثر على أدوات الفترة الانتقالية بين الباليوليتى الاعلى والعصر الحجري الحديث ( النيلوتى ) فى اى مكان فى وادى النيل ودلتاه ، وتدل آثار العصر النيلوتى على أنه حاول التكيف مع الهيئة الفيضية ببناء خط مواجهة سكنى جديد خاصة بعد أن أصبحت الظروف المناخية السائدة شبه صحراوية ٠٠ الى الحد الذى دفعه للاستقرار فى الدلتا والوادى منذ ذلك الحين .

وفى وسط الحقول المحدودة المنتاثرة ٠٠ كونت القرية نوعا جديدا من مراكز الاستقرار ، بوصفها مجتمعا مستقرا مستديما ، وجسدت حياة اقتصادية واجتماعية جديدة ، وأوجدت داخلها حياة متكاملة لها تقاليدھا وعاداتھا المرتبطة بالأرض، وتدعمت الوشائج الوثيقة بين سكانها، وتوحدت مع قوى الطبيعة المتمثلة فى طبيعة السطح والتربة والاحوال المناخية وموارد المياه ، - وتدلل بقاياھا النيلوتية ٠٠ على أنها كانت مجموعة من اكواخ الطين المحبب ومن الطين والبوص ، وكانت متواضعة المساحة ، اذ أن الحقول الواسعة ذات الحدود الواضحة ٠٠ لم تظهر الا بعد ذلك مع المحراث ، وعلى مقربة من القرية ٠٠ كان النهر أو المستنقع ، حيث تقتنص الطيور ويصاد السمك للحصول على طعام اضافى .

- وقد ارتبطت القرية الدلتاوية - منذ ذلك الحين - بالنهر وفروعه والأراضى المزروعة، وتذكر القوائم الفرعونية عنها سكنها واسم القناة أو التربة التى تروىھا والاقليم الزراعى من حقول وكروم، وتشير الى الأراضى الواقعة فى حدودھا ، وتشتمل على مناطق للرعى وأخرى للصيد البرى والمائى ، وقبل أن تتقدم وسائل النقل المائى خلال النهر وفروعه ، فقد كانت كل قرية فى الواقع تمثل عالما قائما بذاته ، خاصة أثناء الفيضان ، والصورة الغالبة للعلاقات القرى ٠٠ ان سكان كل قرية قد يكونون على مرأى من سكان قرية مجاورة ٠٠ وعلى مسمع من ديكھا وكلابھا ، الا أنهم قد يتقدمون فى السن ويموتون ٠٠ دون تبادل الزيارة مع أهل تلك القرية ، وقد عنى المصريون خلال تاريخهم بتسيير سبل النقل الداخلى ٠٠ خاصة المائية كما تشير الى ذلك نقوش معايدھم ، لتوطيد العلاقات التجارية وتأمين وسائل الاتصال الداخلى لاغراض الادارة والحكم وجباية الضرائب ، خاصة وأن القرى والمدن والاسواق ٠٠ لم تكن تقع بعيدة عن النهر ٠٠ بل كانت تتوزع على ضفافه وضفاف فروعھ أو على مقربة منها ، وساعدتهم قوة انحدار مياهه فى الابحار نحو الشمال واستثمروا الرياح الشمالية السائدة فى الصعود خلال مجراه جنوبا .

وقد أتت الأيام على البناء المادى كثير من قرى الدلتا القديمة ، غير أن موضع القرية لا يندثر غالبا ، فان قرية أخرى تنشأ فوقھا أو بالقرب منها ، ولا يبق من القرية المندثرة سوى الاصداف وبقايا الفخار ، بيد أن بناء القرية الاجتماعى بقی صلبا راسخا ، لقيامه على أساس من المبادئ والتعاليم ، اذخرت ٠٠ وتوارثھا الأبناء عن الآباء ، وحتى فى أشد قرى العصر الحجرى الحديث فجاجة ، فلمقد كان المسكن أكثر من مجرد مأوى

للبدن ، كان - أيضا - وعاء اشتمل على انقيم والفضائل التى ارتبطت  
بالانسان منذ ذلك الحين .

- وتتكون القرية فى مجموعها من عدد من الاسر ، تربطها - غالبا -  
صلات الدم ، ولاشك أن تقسيم العمل قد ظهر فى أبسط اشكاله ، معتمدا  
على السن والقوة . أكثر من اعتماده على المقدرة والكفاية وتعدد المهن ،  
ومع ذلك فالقرية عرفت المعالم الجوهرية التى تكونت منها المدينة فيما  
بعد ، فالبيت والسوق والمخازن ومراكز الخدمة البسيطة وغيرها . ظهرت  
فى القرية ، وما يقال عن التكوين العام للقرية ينطبق على منظماتها فأصول  
قواعد السلوك والقانون والعدالة . كانت ممثلة فى مجلس شيوخها ،  
قد قلب تلك الجوانب من حضارة القرية الى المدينة - بعد ذلك - وسخرت  
بطريقة أكثر تنظيما لخدمة أسلوب حياتها المركب ، مع ذلك . فان العناصر  
الجوهرية الأصيلة التى شكلت بنية القرية . لم تختف كلية على الاطلاق ،  
بل انها ظلت تنمو وتزدهر بقواها الذاتية ، وهكذا تكاثرت القرى على  
نحو أفضل من المدينة وأوسع انتشارا ، واحتفظت ببنيتها على حين  
اندثرت كثير من المدن .

- وهذه القرية الدلتاوية القديمة . لا تخلو من مظاهر الملائمة  
مع بيئتها لكنها تصل الى حد التطابق الكامل حتى فى هذه المراحل المبكرة  
من ظهورها ونموها وانتشارها ، ان اختيار موقع الكتلة السكنية - رغم  
ما يشوبها من مظاهر عدم الانتظام - يبدأ باستهداف غرض معين .  
هو التواجد أقرب ما يكون للزمام المزروع ، وهو ينتقل من غرض الى غرض  
ومن حاجة الى حاجة . فى سلسلة متواصلة من ضروب الملائمة ، التى  
تغدو وهى فى اضطراد متزايد أشد تماسكا وأحفل غرضا ، تمزج دائما  
بين دوافع الحاجة العملية . وظروف البيئة الطبيعية ، ويعزى للرى أهمية  
فائقة فى نشأة القرى وانتشارها ، باعتباره عاملا حاسما فى توحيد  
المصلحة بين مجموعات القرى المتجاورة والمستفيدة من مصدر مائى واحد ،  
والمرجح أن استصلاح وتعمير الأراضى فى الدلتا ، كان يحدث نتيجة لنمو  
السكان ، حيث كانت أعمال التطهير تصحب غالبا بهجرة واسعة ، ومن  
ناحية أخرى . فلا شك أن انشاء المصارف فى بداية عصر الاسرات ،  
كان من أبرز المظاهر الايكولوجية فى دلتا النيل ، وكان الصرف - خاصة  
فى الدلتا - عملية هامة بها منذ ذلك الحين ، فالتعمير يسبقه عادة  
التطهير ، وما العملية الزراعية ذاتها . الا عملا عاليا من أعمال التطهير  
فى جانب من جوانبها ، كما انه من الثابت أن المصريين القدماء ، مارسوا

الرى الدائم عن طريق الرفع بالآلة من البرك والنهر ، بيد أنه لم يتعد هذا النطاق الضيق ٠٠ وام يتطور حتى القرن ١٩ الميلادى .

— وانه لمن الصعب تقسيم الدلتا فى تلك المراحل المبكرة الى أقسام واضحة من حيث السكن واستخدام الارض ، ولكن الثابت أن جهاتها الجنوبية ٠٠ كانت أصلاح فى سكنها من الشمالية ، فقد أدى ارتفاعها النسبى الى سهولة صرفها وتخليصها من المستنقعات والمياه السطحية ، بل أصبحت الأجزاء الشمالية بمنابة منطقة صرف لها ٠٠ تنتشر بها الأعشاب الغنية من البردى والبوص ونباتات المستنقعات مقطعة بمياه المجارى العديدة ومنعطقات النهر فى نهاية مجراه والبحيرات الساحلية والمرجح أن السكان قد اندفعوا نحو الحافات المتاخمة للدلتا فى وقت واحد ، فقد استمر الرعى حرفة سائدة فى أجزاء واسعة من شمال الدلتا ، ويرى « بوتزر » Butzer أن الحياة الرعوية ظلت سائدة على طول الساحل الشمالى للدلتا ٠٠ حيث كانت المياه أوفر دائما ٠ والواقع أن حركة تعمير الدلتا هذه ٠٠ لم تتخط خط كونتور + ٣م بين فرعى الدلتا حتى منتصف القرن ١٩ ، الا فى أجزاء محدودة ٠٠ وفى اقليم البرلس المتميز بظروفه الخاصة تعميريا ، وظلت الأجزاء شمالى هذا الخط تنتمى — غالبا — للعصر الباليوليتى الذى يسبق الزراعة ، لقد ظلت حتى ذلك الحين ٠٠ نادرة السكان ٠٠ يجوبها الرعاة والصيادون ، ولا يوجد بها الا أماكن قليلة يمكن بلوغها بالقدم أو على ظهر دابة ، تكتسوها المستنقعات — المزدهرة للحشائش ٠٠ لا تفيد الا الماشية تتلمس الغذاء فى أطرافها ، وأسراب البط تتخذها ستارا يحميها ، وتدل دراسة خرائط الدلتا التاريخية منذ العصر الفرعونى (١) ٠٠ وحتى نهاية عصر محمد على ٠٠ على أن نهاية عمران الدلتا شمالا يكاد يتمشى عموما مع خط الكونتور المذكور ٠٠ ، بل أن تأثيرات النمو العالم الذى شهدته الدلتا أثناء عصر محمد على وبعده خلال القرن الماضى ٠٠ كانت سلبية فى تلك الأجزاء الشمالية ، فقد أدى تعمير الرى الدائم ، وإنشاء الترع الصيفية منذ ١٨١٦ الى حرمانها من مياه الفيضان ، التى كانت تساعد فى تخليص الأرض من الأملاح كما تمدّها بالغرين المخصب ، وانتهت الى هذه الجهات المنخفضة المصارف التى شقت مع بداية الرى الدائم ، وارتفعت نسبة القلوية ٠٠ لدرجة أن زراعتها تحتاج الى عملية استصلاح طويلة ٠٠ قبل أن تغل انتاجا اقتصاديا .

(١) انظر أطلس « أسفل الأرض » للأمير عمر طوسون ( ١٠ لوحات ) مقياس الرسم

١ : ٥٠٠ ألف .

— ويمنحنا على مبارك صورة موحية لهذه الأجزاء من الدلتا ٠٠ قرب نهاية القرن ١٩ ٠٠ تجدر الإشارة اليها لتبين هذه الظروف بوضوح ( ٠٠ هي برية واسعة ٥٠٠ ألف فدان ، بحيرة البرلس واقعة داخلها ٠٠ كانت الى سنة ١٢٦٠ هـ معدة لرعى الجاموس والبقرة الجفال ٠٠ ، وفي هذا الفضاء العظيم كانت تتجمع تصافى مياه البلاد المجاورة ، فيتكون منها بحيرة عظيمة الامتداد ٠٠ تتخللها جزائر كثيرة ٠٠ ، وكانت في تلك الجزائر حشائش ومراع بكثرة ، وبعد نزول المياه ونقصها ٠٠ كانت مياه تلك البرك تتناقص وينكشف جزء عظيم من جوانبها ، فتنبت به المراعى الحسنة ، فكانت الجواميس والبقرة الأهلى ترتع فيه ، وكان الرعاة يقيمون في البرية اخصاص من البوص والبردى ، والمواشى سائبة في البرية يجمعها الراعى لحلبها في ثابته ، ويحضر التجار كل جمعة فيشترونه ، ولم ينقطع البقر الجفال الا بعد ١٢٦٠ هـ ، وكان الرعاة يصطادونه بالرصاص ٠٠ ، والآن بسبب كثرة الزراعة الصيفية في أرض الروضة وغيرها ، امتنع دخول المياه في هذه البرية ، فجفت أراضيها وانقطع منها الحشائش ، وكثير منها داخل الزمامات ، وأعطى منها أباعد للأعيان ، وها نحن شارعون في عمل تصميم لاجراء عمليات فيها لاصلاحها ٠٠ بحيث يتأتى الانتفاع بها بالزراعة والمرعى ، شكل ٢ ) .

لقد جرت في المائة سنة الاخيرة عملية تغيير واسعة في خريطة الدلتا . وخاصة شمالها ، بحيث يبدو من الصعب التمييز بين فروع النهر القديمة والقنوات المحفورة ، وهكذا ٠٠ فان الخصائص التقليدية للدلتا كالبرك والمستنقعات ، أصبحت تزرع الآن ٠٠ ، وساعد خزان أسوان في استصلاح أراضى المستنقعات الملحية الشمالية ، فبدء في تجفيفها وفي تجهيزها للزراعة وكانت المنطقة من خمسين سنة زاخرة بها ، حتى شقت بها الترع والمصارف ٠٠ ودالت دولة الصيد والرعى منها .

— وهكذا رغم المراحل الزمنية الواسعة التى استغرقتها عملية تعمير الدلتا — منذ النيلوتى وحتى الوقت الحاضر ، فان عوامل التغيير الحضارية في خريبتها العمرانية ٠٠ لم تتغير الا بدرجة نسبية ، فما تزال التغيرات السكانية ، وازدياد المساحة المزروعة ، وتطور نظام الري والصرف وازدياد كفاءته ، تمثل أهم هذه العوامل حتى الوقت الحاضر ، واذا كانت ٠٠ معظم الأجزاء الشمالية من الدلتا ( خاصة شمالى كونتور م٣ ) ، لم تدخل العصر الزراعى حتى القرن ١٩ ، فانها تختزن في الوقت الحاضر سنين البوار الطويلة ، وتدخل مباشرة عصر الزراعة العلمية خاصة المناطق







القسم الثاني

---

الاطار الطبيعي



## الاطار الطبيعي

البرارى ٠٠ جزئية فى اطار طبيعى يشملها ويضفى عليها مظهرها الخاص ، تلك هى الدلتا - ابنة النيل - أشبه بمثلث مساحته ٢٢ ألف كم<sup>٢</sup> يبلغ طول ضلعه الأيمن الشرقى ( فرع دمياط ) نحو ٢٣٩ كم ، بينما يصل طول الضلع الأيسر ( فرع رشيد ) ٢٤٥ كم ، أما الخط الواصل بين الرأس والقاعدة فيبلغ ١٧٠ كم ، وتمتد القاعدة لمسافة ٢٢٠ كم بين مصبى دمياط ورشيد .

- وقد مرت الدلتا بعدة مراحل تطورية حتى اتخذت شكلها الحالى ، وقد تعددت الآراء بشأن الكيفية التى تم بها بناء الدلتا ، والعلاقة بينها وبين البحر خلال العصور الجيولوجية والتاريخية ، كما تعددت بشأن ظروف تكوين بحيراتها الشمالية وفروعها القديمة وسمك رواسبها ، وربما يكون المهم هنا - دون الخوض فى التفاصيل - تحديد العوامل الطبيعية التى أثرت - ، وتلك التى ماتزال تؤثر فى تعميرها ، وتوزيع العمران فى أنحائها ، وهذا من يرى ٠٠ أنها تتلخص فى خصائص السطح والتربة ، وقد يمكن اضافة تأثير العوامل المناخية أيضا ٠٠ خاصة الأمطار والحرارة ، وان كان تأثيرها يبدو بوضوح ٠٠ بالنسبة للمسكن ٠٠ حجبه وخطته ومادة بنائه .

- فبالاضافة الى انتماء البرارى طبيعيا الى السهل الدلتاوى ٠٠ الذى يبلغ أقصى اتساع له عندها ، فانها تشتمل على عدد من الظواهر الطبيعية التفصيلية ، أهمها بحيرة البرلس بأكملها ، وقاعدة الدلتا بين مصبها ، واقليم البرلس المتميز بظواهره الخاصة ، ومصبى دمياط ورشيد ونحو ثلث طول كل منها الشمالى ، ورغم انتماء المنطقة حضاريا للدلتا تماما ، الا أن هذه الظواهر الطبيعية الخاصة ٠٠ قد انعكست فى أنماط عمرانها وتشكيلاته وكثافته ، ويظل لتأثيرات البوار الطويلة القديمة التى تعرضت لها المنطقة - حتى ارتبطت بالسوار تاريخيا - أكبر الأثر فى خريطتها العمرانية عامة .

— ويبدو موقع المنطقة في الدلتا مفتاحا لفهمها ، فهو امشها الجنوبية  
تعد نطاقا انتقاليا بين جنوبي الدلتا ووسطها — الراسخة العمرانية — منذ  
زمن فرعونى وبين شماليها — البرارى — التى تأخر تعميرها لأسباب شتى،  
طبيعية وحضارية ٠٠ حتى القرن ١٩ ، وهكذا ٠٠ فالأجزاء الجنوبية من  
البرارى وحتى حوالى كونتور ٣ م ٠٠ يسودها نمط القرى القديمة  
المتجاورة ، المرتبطة بأحواضها المزروعة من قديم ، ويتجه تكاثف العمران  
نحو التخلخل فى الاتجاه الشمالى ٠٠ حيث يسود نمط العزبة المتناثرة فى  
المناطق حديثة التعمير ، وداخل هذه الصورة العامة ٠٠ مارست محاور  
المكان الطبيعية « ( فرعا رشيد ودمياط ، بحيرة البرلس ، ساحل البحر  
المتوسط ، اقليم البرلس ) ، تأثيراتها فى تشكيلات القرى والعزب ، وفى  
أحجامها وتباعدها ، ولم تكن التربة بعيدة عن هذه الصورة فالأجزاء  
الجنوبية من المنطقة ، لم تتعرض لتأثيرات البوار الشمالية الا بقدر محدود ،  
ومن ثم فان استزراعها من قديم ٠٠ يعد من أهم أسباب رسوخ العمران  
فى هذه الأجزاء ، ومع تزايد تعرض التربة للبوار ونتائجه ، يتجه العمران  
للتباعد والتناثر والتضاؤل فى الاتجاه الشمالى ، واذا أمكن — فى الماضى —  
تميز ثنائية فى المنطقة ، تتمشى مع الزراعة وارتفاع القدرة الانتاجية  
للتربة وكثافة السكن والسكان من ناحية ، وانخفاض الانتاجية والبوار  
وتخلخل العمران من ناحية ثانية ، فان هذه الثنائية بصدد التلاشى ،  
مع عمليات التوسع الزراعى وارتفاع القدرة الانتاجية للأراضى المستصلحة  
تدريجيا ، واذا كانت « البرارى » لم تدخل العصر الزراعى حتى القرن ١٩ ،  
فانها تختزل فى الوقت الحاضر قرون البوار الطويلة ، وتدخل مباشرة عصر  
الزراعة العلمية خاصة الأجزاء منها الخاضعة لاشراف « قطاع وسط الدلتا  
لاستزراع وتعمير الأراضى » ، ولا شك أن خطة التنمية الشاملة التى تخضع  
لها هذه الأجزاء ، ستكون لها نتائج مؤثرة فى شمال الدلتا برمتها ، حتى  
أجزائه تلك المستزرعة من قديم ٠

## أولا : البوار ٠٠ عوامله ومظاهره :

المرجح أن التغيير الأخير فى مستوى سطح البحر فى العصر  
التاريخى (١) ، كان من الأسباب الرئيسية وراء ظاهرة البوار فى شمال

---

(١) يعتبر المقرئى أول من كتب عنها ، ويرجمها الى ما قبل الفصح العربى ، ويرى  
« هيرم » انها حدثت فى القرن ٦ م ، وهناك من يرجعها الى العصر البطلمى ، كما ذكرها  
ايضا ٠٠ « لينانت دى بلفونت » ( ١٨٧٣ ) ، و « أديبوبيك » ( ١٩١٩ ) ، و « دارسى »  
( ١٩١٨ ) ، « بارتو » ( ١٩٢٥ ) ، « بول » ( ١٩٣٩ ) ٠

الدلتا ، فضلا ، عن تشكيل ايكولوجيته الخاصة عموما ، ويمكن تحديده أهم نتائج هذا التغيير - طبيعيا - فيما يلي :

١ - أدت الى ظهور بحيرات النطاق بشكلها الحالى ، فلم تكن بحيرة البرلس - مثلا - قبلها سوى بحيرة صغيرة تعرف باسم « بوتو » (١) ، تنحصر بين فرعى النيل القديمين «السبنييتى ، البولييتى» ، وقد اتسعت مساحتها بعد حركة الهبوط التى صاحبت التغيير فى مستوى سطح البحر ، ونمت فى اتجاه الجنوب والشرق ، وأصبح مصب يقع فى جنوبها الشرقى ، بعد أن كان ينتهى الى البحر المتوسط .

٢ - تعرضت أطوال فروع النيل القديمة للاضمحلال بعد غرق مصباتها فبعد أن كانت تخترق مياه المستنقعات الشمالية ، فى مجار محددة الضفاف تنتهى الى البحر ، غمرت أجزاؤها الدنيا ، وأصبحت تنتهى عند الشواطئ الجنوبية للبحيرات بمصببات مسدودة ، مليئة بالرواسب الطينية ، مما جعلها - بعد ذلك ، تتعرض للانكماش والانحدار .

٣ - اضمحلال شمال الدلتا وبواره ، ولقد كان هذا الجزء من الدلتا دائما قليل الخصوبة ، خاصة الأجزاء القريبة من البحر ، بسبب قرب مستوى الماء الباطنى وارتفاع الملوحة ، وزاد من اتساع الأراضى البائرة تدريجيا . صعبوبة صرف مياه الفيضان بسبب انخفاض سطح البحر ، وانسداد فوهات الترع بالرمال . ، وخاصة فى العهود التى سادت فيها الفوضى مثل العهد العثمانى ، وبينما يرى « هيوم » أنه بعد دخول العرب مصر . دمرت جسور الحياض فى هذه المناطق ، فساء صرفها وريها وزادت ملوحتها ، وأصاب التلف أكثر من ١٥ مليون فدان فالأرجح أن بوار شمال الدلتا ، يرجع أساسا الى التغيير الأخير فى مستوى سطح البحر .

وقد اختلفت الآراء بشأن هذا التغيير فى مستوى سطح البحر ، فمنها ما يرجعها الى ارتفاع منسوب البحر ، ومنها ما يرى أنها نتيجة هبوط ساحل الدلتا الشمالى ، ومنها ما يعزوها للأمريين معا ، وتشير بعض الدراسات ، الى أن هذا البوار . يرجع الى هبوط ساحل الدلتا الشمالى باستمرار منذ القرن ١٣م ، وقد أدى ذلك الى اتساع رقعة البحيرات والمستنقعات الساحلية ، والمرجح أن سطح الدلتا قد تعرض للهبوط التدريجى . بسبب كميات الطمي الهائلة التى كان يجلبها النهر وفروعه

(١) ذكرها هيروdot ، وذكر معها نطاقا من المستنقعات . لا ينطبق على البحيرات الحالية .

ويقدر هذا الهبوط بنحو ٢٥م منذ الفترة التاريخية حتى الآن ، ولكن لا يمكن التأكيد ٠٠ ما اذا كان هبوط ساحل الدلتا الشمالى مستمرا بنفس المعدل حتى الوقت الحاضر ٠ ( شكل ٣ ) ٠

لقد بهتت تأثيرات البوار القديم فى شمال الدلتا - كما سبقت الاشارة - وخاصة خلال عقود السنين الأخيرة ، حيث يبدو من الصعب الآن ٠٠ تبين خط البوار القديم الذى كان ، وتزحزح تدريجيا نحو الشمال ، تحت تأثير عمليات الاستصلاح المتواصلة منذ نهاية القرن الماضى ، وان كانت تأثيرات البوار الطويل - والعوامل الطارئة ، الاخرى - ما تزال ملحوظة فى ذلك النطاق الشمالى ، متمثلة فى تلك الجيوب من الاراضى غير المستزرعة ، وبقايا المستنقعات والسياحات القديمة وفى تعقد سطحها نسبيا بسبب الكرايد والتلال والكيما ، وفى ازدياد نسبة الاملاح فى تربتها ٠ وفى ارتفاع مستوى الماء الباطنى وسدة ملوخته ، وفى انخفاض انتاجيتها عامة ٠

ويمكن الاشارة الى اهم المظاهر المعبرة عن البوار القديم فيما يلى :

## ١ - الاراضى البائرة :

لا تمثل الاراضى البائرة ظاهرة واضحة فى الدلتا جنوبى كروتور ٣م بين فرعيها ، ولكنها كانت - وما تزال بدرجة اقل كثيرا - تمثل اهم ظاهرة طبيعية حضارية شمالى الخط المذكور ، وتكاد تصل مساحتها الى نحو ثلث مليون فدان ٠ فى هذا النطاق ، منها نحو ٢٦٥ ألف فدان فى محافظة كفر الشيخ وحدها ٠ والباقى فى الاجزاء من محافظة الدقهلية الواقعة بين فرعى النيل ، وتتركز حول بحيرة البرلس ٠ والى الشرق من فرع رشيد فى المنطقة المحصورة بينه وبين بحيرة البرلس ، كما تزيد نسبته فى اقليم البرلس ، وتتميز تربة هذه المناطق بقوامها الطينى شديد الاندماج من نوع الاراضى البحرية النهرية Marine-alluvial-soil ذات قدرة عالية على الاحتفاظ بالمياه ، وتسود بها نسبة الطين (٧٠-٩٠٪) وتقل نسبة السلت (١٠-١٢٪) ، والرمل الناعم (٨٪) ، والرمل الخشن (١٥٪) ، وتنتشر بها كربونات الكالسيوم على هيئة تجمعات بسيطة لا تؤثر فى تماسك التربة ، الا اذا وجدت أملاح المغنسيوم ٠ التى تسبب اندماج التربة وتماسكها ، وهى شديدة الملوحة غالبا ، وتظهر املاح الصوديوم مزهرة على السطح ، وهى فقيرة للغاية فى المادة العضوية ٠

ولا شك أن التأثيرات التى تعرض لها شمال الدلتا ابان العصور



التاريخية ، من أهم العوامل التى أدت الى تباين التربة طبيعيا وانتاجيا خلاله ، ذلك التباين الذى انعكست آثاره فى مراحل تعميره وفى خريطته العمرانية عامة .

#### (ب) المستنقعات :

وتعد ضمن الأراضى البائرة ٠٠ ولكنها تختلف عنها فى كونها مغمورة بالمياه دائما ، وليست مكشوفة أو مغمورة موسميا ، وتشمل الأراضى الواقعة شمالى مصرف المحيط حتى بحيرة البرلس ، وتشمل إقليم البرلس فى أجزائه التى يقل منسوبها عن متر واحد ، كما تشمل الملاحات والمنافع التى تغمرها المياه شتاء وقد نتخلل - فى مساحات صغيرة - الأجزاء المزروعة من قديم فى شمال الدلتا ، وهى اما أراضى مهلمة أو متنازع عليها ، أو لعدم قدرة الأهالى على استصلاحها ، والثابت ٠٠ أن صفات التربة فى هذه المناطق - وخاصة نوع الحبيبات والأملاح والمسامية - هى العامل الأساسى وراء ضعف نفاذية التربة للماء ٠٠ ، بحيث تودى الى ظهور مستويات الماء السطحي ، ويختلف مستوى التشبع من مكان لآخر ومن وقت لآخر ، تبعا لمدى نفاذية الطبقات ودرجة الانحدار والرى السطحي والتسرب من قنوات الرى والصرف ، والواقع أن تشبع الطبقة السطحية مؤقت ، ولا يلبث أن يهبط بعمليات الصرف ، ويعد انشاء المصارف العميقة ، الوسيلة الرئيسية لتحويل هذه المستنقعات الى أراضى مستزرعة ، عن أن مجرد بقاء هذه البقاع بورا عصورا طويلة يضاعف من جذبها ويجعل اصلاحها من الأمور الشاقة الباهظة التكاليف .

#### (ج) الأكوام :

تتضح ظاهرة الأكوام فى شمال الدلتا شمالى كنتور ٣م ، كظاهرة متميزة ومستمرة فوق مستوى السهل الفيضى البطىء الانحدار ، وقد تعددت الآراء التى تعزو هذه الظاهرة لأسباب طبيعية ٠٠ تتصل بطروف ارساب النهر لحمولته ، وتغيرات مجارى فروعه القديمة ، أو لأسباب تاريخية ، فهناك من يرى ٠٠ أن القاسم المشترك بين معظم القر المصرية « أنها تقوم على تلال أو أكوام صناعية ، وذلك لمواجهة أخطار الفيضان فى هذه البيئة الفيضية » ، ومن المعروف عامة أن ظاهرة اختلاف منسوب الرواسب فى الدلتا ٠٠ ترجع للأسباب الآتية :

١ - ظروف تكوين الدلتا نفسها ، فالمرجح أن الدلتا فى البداية ٠٠ كانت أشبه بمنطقة مستنقعية واسعة ، وكان النهر يحطم جوانبه فى الفيضانات المرتفعة ، وينساب الى الأراضى المنخفضة وهكذا تتكون

فروعه ٠٠ التى كانت أكثر عددا فى الماضى . وهذه جميعها تستقبل المياه الطبيعية ، ويرسب كل مجرى مكوناته بجوار ضفافه ، حتى أن سطح الدلتا يتكون عامة من أراضى مرتفعة بجوار المجرى الرئيسى وفروعه ، بينما تشغل المنابع الأجزاء المنخفضة .

٢ - أدت التغيرات العديدة فى فروع النيل القديمة ، واختلاف مناسيب الفيضان ، الى زيادة التعقيد فى مناسيب الشربة . وقد أدت حركة هبوط ساحل الدلتا الأخيرة ٠٠ الى تقصير فروع النيل القديمة التى كانت تخترق المستنقعات الشمالية فى مجارى محدده ، لنسفاف وليست هذه الاكوام والكراديد سوى بقايا هذه الضفاف القديمة المهجورة .

٣ - حدوث عملية تصنيف للرواسب . فى بداية تكوين الدلتا ، بحيث رسبت المواد الخشنة أولا ، ثم الأقل خشونة تدريجيا فى الاتجاه الشمالى ، ويقل استواء سطح الدلتا فى هذا الاتجاه ، فقد كانت فروعها القديمة تتدفق شمالا دون ضابط ، فكونت لنفسها جسورا طبيعية تهجرها بعد حين ، حيث كانت الفروع تتشعب فى شمال الدلتا ، خاصة فى فترات البوار الطويل التى أصابها ربما منذ العصر الفرعون . ولكن هل كان للعوامل التاريخية تأثيرها فى وجود هذه الظاهرة ؟

تدل الدراسة الأركيولوجية فى شمال الدلتا ٠٠ على وجود آثار القرى القديمة فوق معظم أكوامها ، ( تشير الى ضرورة دراسة الجغرافية للمنطقة بأكملها ) ، وفى حالات كثيرة فإن هذه الأكوام المرتفعة عن السطح المحيط نسبيا - بسبب عوامل شتى - كانت تمثل نقط السكن المختارة فى هذه الأجزاء من الدلتا ، ثم تعرضت لعوامل الخراب الطبيعية أو بشرية . وتوضح الخرائط التاريخية لشمال الدلتا ٠٠ الكيمان والتلال والاطلال التى كانت تزخر بها المنطقة حتى نهاية القرن ١٩ ، كما توضح دراسة القطاعات الطولية فى هذه الأكوام ٠٠ بقايا القرى المدرسة خلال فترات التاريخ ، ومن الظواهر الملحوظة - عمرانيا - فى الوقت الحاضر ٠٠ اتجاه مراكز السكن من القرى والمدن الواقعة فوق الأكوام نحو الهبوط التدريجى بمبانيها الى مستوى السهول الفيضى ، وذلك من خلال متابعة نمو الكتلة السكنية لهذه المراكز ، خاصة بعد زوال خطر الفيضان - الدافع التاريخى للصعود - ، وظهور دوافع أخرى للهبوط للاقتراب من طرق المواصلات الميسرة ، ومن مصادر مياه الشرب الحديثة ، وتوفير جهد الرحلة اليومية بين المسكن فوق الكوم والحقل أسفله ، وبالنسبة للمدن ٠٠ فإن هذه الظاهرة تتضح فى نمو أجنحة سكنية ومباني حديثة ،

على طول محاور الطرق المرصوفة والترع الرئيسية ٠٠ هابطة من فوق الكوم وممتدة مع هذه المحاور ، كما هو الحال فى مدينتى فوة ، بلطيم « على وجه الخصوص » ٠

### ثانيا : الساحل الدلتاوى :

— تطل الدلتا على البحر المتوسط بجهة شمالية طولها نحو ٢٢٠ كم بين مصبى فرعيها رشيد ودمياط ، وقد تحددت مورفولوجية الساحل الدلتاوى عموما ٠٠ من خلال العلاقة الدينامية بين حجم الرواسب النيلية ودرجة النحر البحرى ، وتعترض معظم اجزاء هذا الساحل للنحر — الآن — بمعدلات أعلى من الارساب ، ويرجع تناقص معدل نمو الدلتا الحالى عنه فى الماضى ٠٠ الى احتجاز كميات كبيرة من الرواسب ٠٠ أمام القناطر والسدود على طول مجرى النيل ٠٠ منذ قيام الرى الدائم فى القرن ١٩ ، غير أن مشكلة تراجع الساحل الدلتاوى قد برزت بشكل خطير أخيرا ، بسبب اختلال العلاقة بين حجم الرواسب ودرجة النحر من الارساب ، منذ انقطاع الرواسب النيلية عقب اتمام بناء السد العالى ، وهى علاقة ظلت متوازنة عموما ٠٠ منذ البلايوسينين وخلال العصور التاريخية ، وبعد الساحل الآن من السواحل المتراجعة ، باستثناء قطاعات محدودة على طوله ٠٠ ، تتمثل فى ثلاثة رؤوس متعمقة فى البحر ٠٠ عند دمياط ورشيد وبرج البرلس ، والأخيرة ٠٠ أكثرها امتدادا فى البحر ، وتكاد تقسم ساحل وسط الدلتا الى خليجين متساويين فى المساحة ٠

— ويتخذ الساحل الشمالى شكل حاجز رملى ، يظهر كسلسلة من الكثبان الرملية ، وتشير الدراسات الى أن ساحل مصر الشمالى ٠٠ كان يشهد ابان العصر السبيلى الأعلى (١٢-١٠ ألف سنة ق.م) فترة جفاف ، كانت من العوامل الأساسية فى تكوين كثبان هذا الساحل ، كما ساهمت الارسابات النهرية بنسبة كبيرة فى مادة بنائها ، حيث يلقي النهر بنحو ٣٠ مليون طن من ارساباته فى البحر ، تتوزع على طول الساحل بفعل التيارات الساحلية ، وتدخل فى بناء الكثبان ، وتقدر كمية الرواسب التى تضاف اليها من مياه البحر بنحو ١٤٠ ألف م<sup>٣</sup> من الرمال سنويا ، وتنظم هذه الكثبان — غالبا — على شكل اقواس ، تواجه جوانبها المقعرة البحر المتوسط ، كما أن سفوحها الشمالية أشد انحدارا من الجنوبية ٠ ويمكن تتبع ثلاث نطاقات منها موازية للساحل صوب الداخل ، يتكون الاول من الرمال والطين ، ويتراوح اتساعه بين ٥٠ - ٦٠ م ، يليه نطاق من الكثبان الرملية المنخفضة ، تغطيها النباتات الطبيعية ، ويمثل

الثالث الحد الشمالى من البحيرة ويتكون من الطمى ، تفصله عنها أرض سوداء جرداء ، تمثل السياحات الشمالية للبحيرة .

- وتتناثر على طول هذا الساحل فتحات تعرف بالبواغيز ، عبارة عن ثغرات ضيقة خلال الحواجز الرملية ، والمرجح أنها بقايا مصبات الأفرع الدلتاوية القديمة ، باعتبار أنها تمثل نهايات مجار عميقة جدا بقيت مفتوحة ، تصل بين بحيرات شمال الدلتا والبحر ، ويبلغ طول بوغاز البرلس نحو ٢٥٠ م ، ويتراوح اتساعه بين ٣٠٠ - ٣٥٠ م ، والمرجح أنه يمثل مصب الفرع السبنيى القديم ، الذى كان يجرى وسط الدلتا ( شكل ٣ ) .

- أما اقليم البرلس .. فيأخذ شكل مثلث ، يمثل ساحلى البحر والبحيرة ضلعا وتطل رأسه على بوغاز البرلس ، وتذوب قاعدته فى السهل الدلتاوى الشمالى يتميز بعدد من الظواهر الطبيعية .. التى تكاد تجعل منه اقليما متميزا ، انعكست على خريطته الكونتورية ... فسادها عدم الانتظام ، حيث يزخر الاقليم بالمستنقعات والملاحات المنخفضة بجوار الكثبان الرملية المتفاوتة الارتفاع والامتداد ، وتمتد هذه الكثبان بين البحر والبحيرة ، فى موازاة خط الساحل .. وتستمر غرب البوغاز حتى مصب رشيد ، ومشرقا حتى مصب دمياط ، وقد تتداخل جنوبا فى الاراضى الطميية ، ويتم تكوين هذه الكثبان - عادة - قرب مصادرها ، ومصدر الرمال هو الدلتا والمفتحات الصحراوية والارسابات البحرية .

ولا يقتصر خطر النحر البحرى على تآكل الالسنه الرملية الساحلية وتهديد مراكزها السكنية ، بل يمتد الى تهديد نظام الصرف فى شمالى الدلتا ، والقضاء على الجهود المبذولة شمالى كونتور ٣ م ، وتهديد دورة الحياة فى بحيرة البرلس بالاضافة الى فقدان الثروة المعدنية الكبيرة ، التى أثبتت الدراسات احتواء خط الرمال الأمامى هذا على نسبة عالية منها ، وقد اتضح أنها تحتوى على عنصر المونازيت المحتوى على الثوريوم ، ومعدن البرونيل المحتوى على الثيرتانيوم كما يوجد الزركون بنسب متفاوتة ، والى جانب بعض العناصر المشعة الأخرى .. يوجد الماجنتيت أكثر خامات الحديد جودة ، وتصل نسبة الرمال السوداء فى هذا الحاجز بين ١٥ - ٢٠ ٪ ، وتتركز قرب مصبات الدلتا .. وخاصة عند جوانبها الشرقية ، وبالأخص فى تكوينات الحواجز الرملية .

### ثالثاً : فرعاً النيل دمياط ورشيد :

— تعددت الكتابات والاشارات عن فروع النيل القديمة منذ زمن بعيد ، منها مخطوطة قديمة باسم *Periplus scylex* ، وكتابات ديودور الصقلي وبليني واسترابون في القرن الأول الميلادى ، وبطليموس في الجغرافية ، وجورج القبرصى في أواخر العهد البطلمى ، وكتابات العرب القديمة والمتضاربة ، منهم ابن عبد الحكم وابن خردادبة وابن سراجيون (٩م) ، واليعقوبى والمسعودى وابن حوقل (١٠م) ، والادريسي والمخزومى (١٢م) ، وأبو الفدا والقلقشنبدى (١٤م) ، والمقرئى والزاهرة (١٥م) ، وغيرهم ٠٠٠ ، وجميعها تشير الى تغيرات شملتها سواء فى عدد الفروع وأطوالها وأماكن تفرعها ومصباتها ، وبمقارنة خريطة « هيرودوت » لها مع وضعها الحاضر ( شكل ٦ ) يلاحظ أن فمى فرعى دمياط ورشيد — وهما ما بقى من هذه الفروع — يتفكان مع الفرعين البوكالى *Bucali* والبولبيتينى *Bolbitini* على الترتيب ، وقد تعددت الآراء بشأن ظاهرة اندثار فروع النيل القديمة ، يمكن تلخيص أهمها فيما يلى : —

١ — انصرفت مياه فروع الدلتا الشرقية الى الوسطى والغربية نتيجة تعرض شرق الدلتا لحركة أرضية مما أدى — أيضاً — الى ضمور فروع دمياط ، وزيادة مساحة البحيرات الشمالية ، وطغيانها على العمران فى شمال الدلتا ، ولكن الواقع أن الاندثار قد أصاب الفروع الشرقية والوسطى والغربية على حد سواء ، كما أن الدلائل على حدوث مثل هذه الحركة الأرضية ليست كافية ، ولواقع أن ضمور فرع رشيد ٠٠ نتيجة تعرضه للاطماء التدريجى ، بسبب انصراف معظم مياهه الى قنوات الرى والترع الرئيسية التى تروى جنوب ووسط الدلتا .

٢ — يرى « مورى » *Mury* أن تلك الظاهرة ترتبط بهبوط ساحل الدلتا الشمالى مما أدى الى اتجاه فروع النيل الوسطى الى مرحلة من النحت وتعميق المجرى بينما اتجهت الفروع الوسطى الى مرحلة ارسابية تناقصت خلالها مواردها المائية ، ولكن الواقع أن الاندثار قد أصاب الفرع السبىتى وهو من الفروع الوسطى ٠٠ ، وهو ما يدحض هذا الرأى .

٣ — من الممكن تفسير ذلك بأسباب تاريخية طبيعية ، فالفروع الغربية قد تعرضت لارسابات الرمال السافية من التكوينات الأوليوسينية والبلايوسينية المفككة المجاورة لها ، أما الفروع الشرقية ٠٠ فقد تأثرت

بنتائج الاهمال والدمار والغزو ، مما عرضها للاطماء ، حتى انصرفت مياها ، وانصرفت مياه الفروع الشرقية (البياوزى ، الثانيتى ، المنديزى) الى فرع دمياط ، كما انصرفت مياه الفروع الغربية (البوليبيتينى ، الكانوبى) نحو فرع رشيد ، فالواقع أن تغير معدلات الارساب فى الدلتا خلال عمرها ، كان يؤدى الى انسياب مياه الفرع الذى ارتفع قاعه ، وطغيانها على ضفافها ، وانسيابها الى الفروع الاقل منسوباً . ولا شك فى جدوى مثل هذه التفسيرات - بدرجات متفاوتة - فى تفهم ظاهرة تعدد فروع النيل الدلتاوية القديمة ، وجميعها تتفق فى ارتباط هذه الظاهرة بالمراحل الأولى لتكوين النيل لدلتاه وشقته لمجرى ٠٠ ، وفى هذه المراحل ٠٠ فان المجارى تكون من الضحلة ٠٠ بدرجة لا تسمح لضفافها باستيعاب مياه النهر داخلها ٠٠ ، ولذلك فان ارسابات النهر الكبيرة فى هذا الجزء من مجراه تتوزع بغير انتظام ، وتؤدى فيضانات النهر العارمة ، الى تغيرات مناسبة للمجارى والارسابات باستمرار ومن ثم فان تغيرات مواقع واطوال هذه الفروع ٠٠ تعد انعكاساً لكل هذه العوامل التى تتميز فى هذه المرحلة من بناء النهر لدلتاه بعدم الانتظام ، غير أن استمرار العلاقة الديناميكية بين كمية المياه المحمولة من جهة ٠٠ وحجم الرواسب الملقاه من جهة أخرى ٠٠ تؤدى آخر الأمر ٠٠ الى تعميق بعض هذه المجارى دون الأخرى ، ثم تستوعب العميقة تدريجياً مياه النهر ٠٠ بينما تتجه الأقل عمقا نحو الامتلاء بالرواسب والانحدار ، على أنه من العسير - بعد ذلك - رسم صورة كاملة لتغيرات الافرع الدلتاوية ، خاصة وأن أغلبها كان بطيء الجريان ٠٠ كثير المنحنيات ، تكرر هجرها لجاريها خلال مراحل تطورها ، والمرجح أن كثيراً من ترع الدلتا الرئيسية، كانت فى الأصل فروعاً دلتاوية أو أجزاء منها .

والخلاصة ٠٠ أن فرعى دمياط ورشيد هما ما بقى من هذه الصورة التاريخية عن دلتا متعددة الفروع ، وتجدر الآن الإشارة الى سماتها الطبيعية وخصائصها الهيدرولوجية العامة .

١ - تتفرع دلتا النيل شمال القاهرة بنحو ٢٣ كم ، ويبلغ طول فرع رشيد ٢٤٥ كم بزيادة قدرها ٦ كم عن فرع دمياط ، كما أنه أوسع مجرى ، وقد أشار حسين سرى فى كتابه « عام الرى » ١٩٣٣ ، ج ١ ، ص ١٥ ( ٠٠ أن تصريف الفرعين كان واحداً قبل انشاء القناطر الخيرية ، واتسع فرع رشيد نتيجة لاضافة مياه التربة الفرغونية اليه ، وكانت الأخيرة ٠٠ تأخذ نحو ثلث كمية مياه فرع دمياط وتعطنها لفرع رشيد ٠٠٠ ) ، ومن ناحية أخرى ٠٠ فقد استغلت ظاهرة ارتفاع منسوب

فرع دمياط عن فرع رشيد بنحو ٢م هيدروجرافيا ، ولما كان - أيضا - اتجاه الانحدار في الدلتا هو من الشرق الى الغرب ، فقد أصبحت معظم ترع وسط الدلتا تأخذ من فرع دمياط منحدره نحو الشمال الغربى ، ولعل من أسباب تعرض فرع دمياط للاطماء التدريجى ، تعرض العلاقة الحساسة بين كمية مياهها وحمولتها من الرواسب للاختلال .

٢ - يأخذ فرع رشيد من مياه الفيضان - قبل السد العالى - مرة ونصف قدر فرع دمياط ، رغم ان طول قنطرته ٤٦٠م وبها ٦١ فتحة ، فى حين أن طول قنطرة الأخير ٥٣٠م وبها ٧١ فتحة ، وتقدر كمية الرواسب العائقة بمياه النهر عند القاهرة بنحو ٦٠ مليون طن ، يلقي النهر بنحو نصفها فى البحر ، بنسبة ٢ : ١ لفرعى رشيد ودمياط على الترتيب ، وتتوزع هذه الكمية على السواحل ، ويدخل جزء منها فى بناء الكثبان ، ويضيع الباقي فى البحر ، وتواجه السواحل الشمالية مشكلة تزايد معدلات البحر بعد انقطاع هذه الرواسب عقب اتمام السد العالى ، وهى مشكلة شديدة الخطورة تهدد النظام الزراعى لشمال الدلتا برمتها ، مما يستدعى وضع سياسة دقيقة لحماية هذه السواحل .

٣ - يختلف نوع الارسابات فى الفرعين نتيجة لتفاوت حجم المياه ، فتصريف فرع رشيد يمكنه من حمل الرواسب الرملية الخشنة . أما حمولة فرع دمياط فغالبا من المواد الدقيقة ، وتتوزع الرواسب الخشنة توزيعا غير متناظر بين كلا ضفتى كل منصب منهما ، وتتميز الجوانب الشرقية لكليهما بأنها أسرع نموا من الغربية ، أما رأس بلطيم . فقد توقف جانبها عن النمو ، بل انها تتعرض للنحر بمعدل سريع ، حيث لا ينتهى اليها الآن أى فرع دلتاوى . فهى تمثل بقية الجانب الشرقى للفرع السبىنى المندثر .

٤ - يتميز الفرعان بوجود عدد من الثنيات . تكاد تشتمل مجراهما وتعتبر خاصية الانعطاف من أهم خصائص الأنهار . خاصة فى سهولها الفيضية ، وتؤدى عمليتا النحر والارساب فى جوانب هذه الثنيات الى هجرة الأنهار لمجاريها ، حيث تشق لنفسها مجارى جديدة ، وقد نجف الكثير من هذه المجارى المهجورة ، التى يطلق عليها فى مصر أسماء متعددة كالخور أو البحر الأعمى أو السيالة وما يزال بعضها مطبوعا فوق السهل الفيضى ، وقد أدى شيوع الرى الدائم والزراعة الكثيفة ، وما تتطلبه من استواء الأرض الى اختفاء جسور النيل المرتفعة التى تحد مجارى النيل القديمة .

#### رابعاً : بحيرة البرلس :

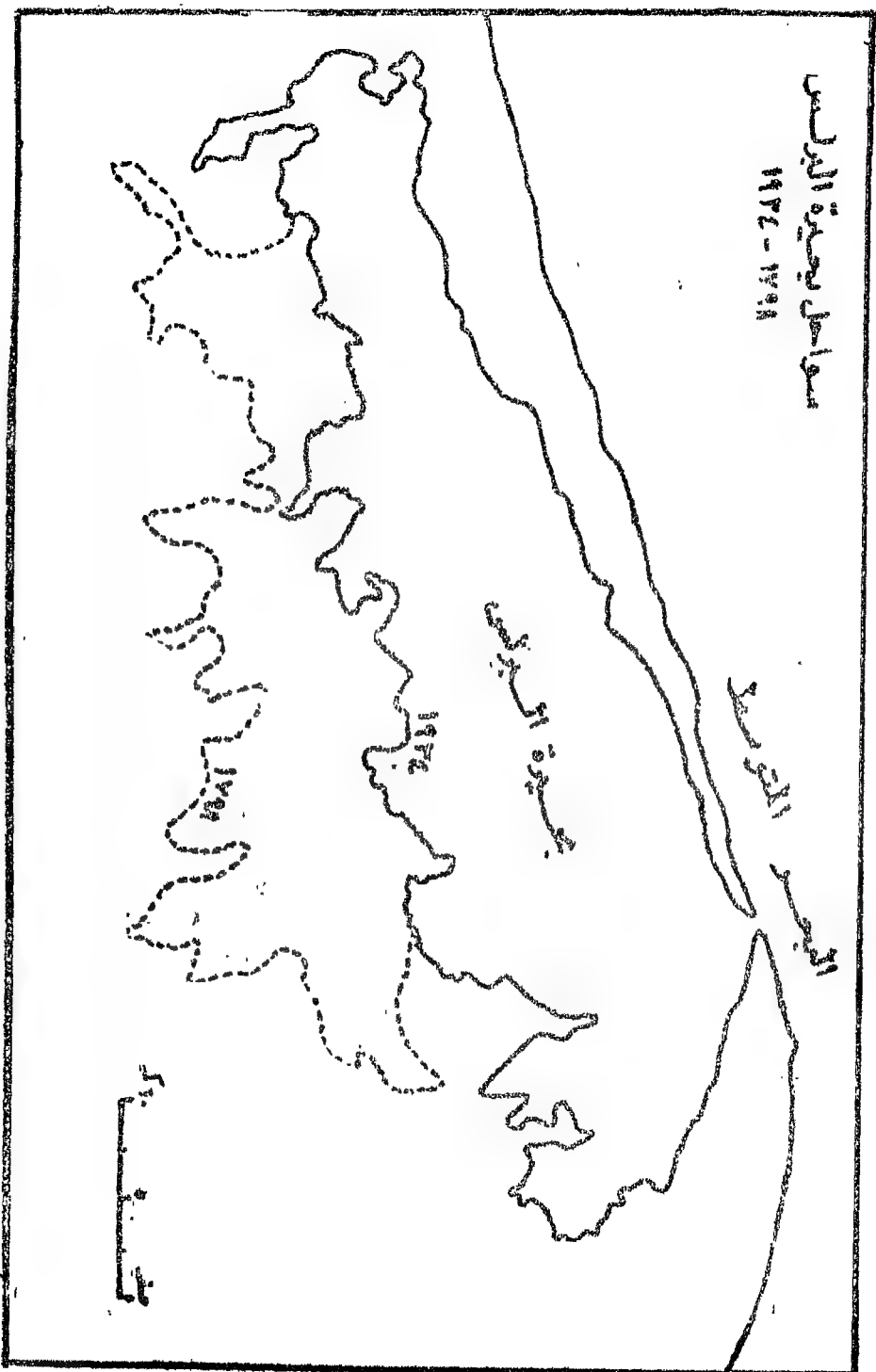
- تشغل بحيرة البرلس أكثر قطاعات ساحل البحر تقوساً نحو الشمال تبدو على شكل مستطيل مساحته نحو ١٣٧ ألف فدان عند مستوى البحر ، تزيد الى ٣١٤ ألف فدان ، اذا ضمت اليها هوامشها من السياحات على ارتفاع ٥٠ سم من منسوب البحر ، وقد تناقصت مساحتها بوضوح خلال القرن الأخير ، فحسب تقدير الحملة الفرنسية تبلغ مساحتها ٢٧٠ ألف فدان ، وقدرت في ١٩١٣ بنحو ١٨٠ ألف فدان ، وبذلك ٠٠ فانها تكون قد تناقصت بنحو ٤٣ ألف فدان بين ١٩١٣ - ١٩٥٦ ( تاريخ مسح البحيرة الأخير ) ، والواقع أن مساحتها تتأثر بالاطماء وتراكم النباتات وسفى الرمال وكمية المياه المنصرفة اليها من مياه الترعة والمصارف ، وبعوامل طارئة أخرى موسمية ومحلية . ( شكل ٣ ) .

- وتتأثر الموارد المائية للبحيرة ٠٠ بعوامل تتصل بمساحتها وخصائصها الطبيعية ، وأساسا بالبحر المتوسط خلال فتحة البوغاز من ناحية ، وبشبكة الري والصرف في شمال الدلتا من ناحية ثانية ، ولم يتم مسح شامل لأعماق البحيرة حتى الآن ، وهى لا تتجاوز ٥٠ سم عموما ، وللأهالى خبرة بأعماقها لأهميتها فى الصيد ، ويتغير عمقها موسميا ، لأسباب تتصل بكمية المياه المنصرفة اليها وتفاوت درجة البخر والتكوين الطبوغرافى لقاعها وانقسامها الى أحواض .

- ويتوزع فى البحيرة نحو ٧٣ جزيرة ، جملة مساحتها ٢٨٦٠ فدان ، أى بنسبة ٢٪ من مساحتها الكلية ، وذلك بسبب قلة المجارى التى كانت تنتهى فى بحيرة البرلس ، ويذكر « هيرودوت » أن أهمها كان الفرع السيني المندفث ، وكان يشق وسط الدلتا ٠٠ ويصب فى البحر ، والمرجح أنه المسئول عن تكوين رأس بلطيم اذ أن مصبه كان يخترق بوغاز البرلس ، وهناك دلائل على أنه كان يتفرع فى مجراه الأدنى الى عدة أفرع دالية مرتفعة الجوانب ، أثرت فى تكوين البحيرة ولم تنتشر البحيرة أكثر نحو الشرق ٠٠ حتى فرع دمياط ، بسبب خلو المنطقة من المجارى المائية التى تميزها الجسور المرتفعة وانخفاض الأرض على جانبيها ، فانتشرت المستنقعات بسبب طغيان البحر دون أن يصل الى البحيرات .

- وتكاد بحيرة البرلس وهوامشها ٠٠ أن تمثل اقليما نباتيا خاصا فى الدلتا ، ربما كان فى الماضى أكثر امتدادا نحو الجنوب ، وتناقصت مساحته ٠٠ مع تقلص مساحة المستنقعات فى شمال الدلتا ، وتكون نباتاتها الهامشية أحراشا كثيفة تمتد لمسافات طويلة على أطراف البحيرة ، وما تزال بقاياها متمثلة على جوانب الترعة والمصارف الى مسافات بعيدة





جنوبية ، وهى من الفصيلة العصارية ، التى تناسبها الأراضي الملحية ، وأهم أنواعها « البوص ، السمار ، ذيل القط الحلفا ، السويدية ، الحزينة ، السعفة ، الحجنة ٠٠٠ وغيرها » ، أما النباتات الطافية فوق سطح البحيرة ، فهى تنمو مغمورة فى الماء تقريبا ، وأهم أنواعها « البشنين ، الحريش ، عدس الماء ، عشوش الحوت » وكثير من الطحالب ، على أن حامول الماء *Patamogeton Pectintus* يشغل النسبة الكبرى من مساحة قاع البحيرة ، وجميعها تشكل عنصرا هاما للإنتاج الطبيعى ، ورغم أنها تمثل مصدرا هاما لغذاء الأسماك ، إلا أن نموها السريع يمنع تجدد المياه المحملة بالعناصر الغذائية المخصصة ، مما يستدعى تطهير البحيرة من بعض أنواعها غير المفيدة ، خاصة وأن تكاثرها يسهل عملية الصيد المخالف .

– ويستعمل الأهالى بعض هذه النباتات كوقود وتستخدم سيقانها خاصة البوص فى بناء المساكن ، كما تستخدم أوراق بعضها فى عمل الحصر والسقيفات ، وخاصة البردى والسمار ، وفى حشو الكراسى والوسائد ، وتستخدم فى عمل الأسوار حول المساكن والممتلكات الزراعية ، والأسيجة الواقية من خطر الكثبان ، وتفرش بها الأخصاص فى جزر البحيرة ، كما أن هناك تجارب للاستفادة منها فى صناعة الورق ، وفى تحويلها الى علف حيوانى .

## خامسا : العوامل المناخية :

### ( أ ) الحرارة :

– يعد موقع مصر الجغرافى بين دائرتى عرض ٢٦°هـ ٣١°هـ شمالا ، ٢٣°هـ جنوبا ، العامل الرئيسى فى تحديد نوع المناخ الذى يسودها ، ويقتصر تأثير العوامل الأخرى على تعديلات تفصيلية فى نمط مناخها العام ، ويبدو تأثير البحر المتوسط واضحا فى أجزاء الدلتا الشمالية ، حتى ليتمكن – بشئ من التجاوز – اعتبار النطاق المتاخم له جنوبا ٠٠ بعرض ٤٠ كم ، داخلا فى اقليم البحر المتوسط المعتدل الدافئ ، وبذلك ٠٠ فان شمال الدلتا ينتمى للإقليم الأخير مناخيا ، ويمكن تحديده بخط يمتد من دمنهور غربا الى السرو شرقا ، مارا بجنوب مدن « دسوق ، قلين ، كفر شيخ ، بيللا » ، وإلى الجنوب من هذا الخط ٠٠ تضعف تأثيرات البحر المتوسط نسبيا ، ويصبح المتوسط اليومى لدرجة الحرارة فى شهر يوليو أعلى منه فى شهر أغسطس ، وهذا التعديل يعبر – تفصيليا – عن

انتهاء تأثير البحر في درجة الحرارة ، المتمثل في تأخير شهر الحرارة العظمى الى أغسطس .

– والواقع أن شمال الدلتا – يتميز بمناخ معتدل صيفا ، مائل للبرودة شتاء ، اذ وجد من دراسة درجات الحرارة في عدد من محطات المناخية ( رشيد ، ادفينا سخا ، السرو ، دمياط ) خلال شهر يوليو .  
ان النهاية العظمى لدرجة الحرارة خلاله تتراوح بين ٣١ – ٣٤م ، وتتراوح النهاية الصغرى بين ١٩ – ٢٠م ، ووجد أن النهاية العظمى لها خلال شهر يناير تتراوح بين ١٦ – ٢٠م ، والصغرى بين ٦ – ٥م ، ويرتفع متوسط درجة الحرارة من أدناها في شهر يناير بالقرب من الساحل ببطء واطراده ويبدو الارتفاع المفاجيء في هذا المتوسط بين شهرى مارس وابريل ، وخاصة بعيدا عن الساحل ، ليصل الى أقصاه في شهرى يوليو وأغسطس وتتضح قارية المناخ وتطرفه في الاتجاه نحو الداخل فيزداد المدى الحرارى السنوى .

– ويلاحظ أن أثر فرع رشيد محدود في تعديل مناخ المدن والقرى الواقعة عليه ، فمدينة دسوق لا تتمتع بهذا التأثير بسبب ارتفاع مستوى ضفة فرع رشيد عن المدينة ، بينما تتمتع مدينة المنصورة بتأثير فرع دمياط الملطف ، أما مدينة فوة فلا تتلقى هذا التأثير بسبب وقوعها عند ثنية حادة على فرع رشيد ، بحيث تمر الرياح الغربية على المدينة أولا ثم تعبر النهر ، وتشير بعض الدراسات الى زيادة درجة الحرارة داخل المدن بمعدل درجة واحدة فهرنهايتية على الأقل عن الريف المفتوح ، وذلك بسبب الحرارة المنبعثة من الطوب والحجارة المصنوعة منها المباني ، وأيضا بسبب تكاثف الأبخرة التى يحده من انتشار الحرارة المنبعثة من الأرض وضياعها في الفضاء ليلا كما أنها تعوق الرياح العالية ، وربما كان بناء المساكن باللبن في معظم قرى المنطقة يمثل ضرورة مناخية ، حيث انه يمثل عازلا جيدا يحتفظ بالحرارة الداخلية ولا يسمح بامتصاص الحرارة الخارجية ، كما ساهمت قلة الأمطار في المنطقة باستثناء الشريط الساحلى – في انتشار نمط المساكن بالطوب الأخضر .

## (ب) الأمطار :

– يشير المتوسط السنوى لكمياتها الى أن المنطقة تقع في أعلى أجزاء الدلتا من حيث كمية الأمطار السنوية فهي تزيد عن ٢٠٠ ملم/سنة في الشريط الساحلى تتناقص الى نحو ١٢٥ ملم في أقص جنوب المنطقة ، تنتمى لنوع الأمطار الأعصارية الشتوية ، حيث تسقط معظم

هذه الكمية بين شهري نوفمبر وفبراير ، اذ أنها تتلقى ٨٥٪ من كمية الأمطار السنوية في هذه الشهور ، وقد تسقط نصف الكمية في شهري ديسمبر ويناير وحدهما ، وقد يسقط في عاصفة رعدية واحدة أكثر مما يسقط خلال شهر بأكمله .

— ويظهر تأثير الأمطار بوضوح في النطاق الشمالى من المنطقة ، وخاصة اقليم البرلس فقد ارتبطت مراكز سكنية ببطون الكشبان الرملية المنتشرة في الاقليم التي تعد بمثابة خزانات لمياه الأمطار . يستمد منها مورد المياه الرئيسى للزراعة البعلية ولشرب السكان ، كما أن الطوب الأخضر لا يعد مناسباً في هذه الأجزاء ، فاتجه الأهالى لاستخدام البوص وبعض المواد المحلية الأخرى في بناء مساكنهم وحديثاً اتجهوا للطوب الأحمر ، مع ضرورة تصميم سقف المسكن بحيث يسمح بانحدار مياه الأمطار ، وعلى اللسان الغربى من بوغاز البرلس ، تنتشر العشبش والأكشاك المخروطية المصنوعة من البوص ومادة الجصاص المحلية ومن ناحية أخرى فإن قلة الطرق المرصوفة في منطقة الدراسة عامة بالإضافة الى غزارة الأمطار النسبية ، من أسباب عزلة القرى الشمالية خاصة عن مراكز الخدمة المدنية ، كما تعد الأمطار من أسباب نقص عمر مساكن المنطقة الطينية عامة ، اذ يجب تجديدها كل خمس سنوات على الأكثر .

### (ج) الرياح :

بدراسة جداول اتجاهات الرياح وسرعتها يتبين ان الاتجاه الشمالى عامة هو الاتجاه السائد للرياح في المنطقة ، تصل نسبته الى ٣٣.٠٠٪ من النسبة العامة لهبوب الرياح في السنة ولما كان مصدرها البحر دائماً فهي ملطفة على الدوام ، أما الرياح الجنوبية باتجاهاتها فتتمثل نحو ٢٩.٧٪ من المتوسط السنوى لاتجاهات الرياح ، والاتجاه الغالب بينها هو الجنوبى الغربى ( ١٧.٢٪ ) وهى دفيئة في الربيع والخريف باردة في الشتاء وتبلغ نسبة الرياح الشرقية نحو ١٠.٧٪ من المتوسط العام لاتجاهات الرياح ، وهى تسبق موسم سيادة الرياح الشمالية ، وتصل الى أدناها فى شهر يونيو لتفسح المجال للرياح الشمالية ، والرياح الشرقية دفيئة نوعاً ، الا فى فصل الربيع حيث تميل للبرودة أما الرياح الغربية فتصل نسبتها العامة الى ١٣.٩٪ ، وتصل أقصاها فى شهر يوليو ثم تنخفض تدريجياً ، حتى تصل الى أدناها فى يناير .

— والخلاصة أن الرياح الشمالية تسود فى المدة بين مايو ونوفمبر ، بينما تسود الجنوبية بين ديسمبر وفبراير ، وتمثل الرياح الغربية نسبة

هامة من الرياح التى تهب بين مارس ومايو ، وفى جميع الأحوال تؤثر الرياح على درجة الحرارة السائدة مثل الرياح الجنوبية التى تؤثر فى الحرارة فى فصل الربيع ، وتؤدى الى دفىء الجو للغاية . وهى أقل دفئا فى الخريف ، والرياح الجنوبية الشرقية التى تؤثر على الحرارة خاصة بين مارس وابريل وتؤدى الى ارتفاعها على شكل موجات حرارية ثقيلة ، والرياح الشمالية التى تقوم بدور ملطف فى درجات الحرارة على مدار السنة .

— وقد يتعرض الساحل لنوع من الرياح الشديدة ( الانواء ) قد تزيد سرعتها عن ٥٠ كم / ساعة ، ولا تقل مدة هبوبها عن ساعة ، وهى رياح غربية عامة ، تتخلها فترات النوات المختلفة ، ويكون بعضها مصحوبا بأمطار غزيرة ، غير أن بعضها الآخر يكون مصحوبا بأمواج عالية ، وخلالها يتوقف الصيد فى البحر المتوسط والبحيرة .

— وتعد الأمواج نتيجة مباشرة لحركة الرياح ، وتؤدى الرياح التى تهب على الساحل On shore الى تيارات قوية ذات تأثير فى حركة المواد العالقة بالمياه ، كما تعمل على رفع مستوى الماء أمام الساحل مما يدفع الموج الى داخل البحيرة ، أما الرياح الموازية للشاطئ Offshore فهى مصحوبة بأمواج عمودية وهى عامل نحت وحمل لمواد الشاطئ الى داخل البحر ، وأما الرياح القريبة من الساحل In shore فهى من عوامل توليد الأمواج الداخلية وتقديمتها نحو الشاطئ والاتجاه السائد للأمواج عامة هو شمال الشمال الغربى وشرق الشمال الشرقى وارتفاع الموج فى المياه العميقة من ١ - ٢ م ، وأقصى ارتفاع لها ٤ م .

وتعد حركة الأمواج من أهم أسباب تآكل الساحل الدلتاوى ، وقد سبقنا الإشارة الى النتائج الخطيرة لهذه الظاهرة ، وقد ووجهت المشكلة فى أكثر من محاولة ، غير أن الأسس التى قامت على أساسها تلك الحلول ، وتتمثل أساسا فى بناء حواجز الأمواج ، لم تراعى حركة الأمواج واتجاه التيار الغربى وأعماق المياه وهو ما يجب أن تعتمد عليه أى محاولة أخرى لمواجهة هذه المشكلة الخطيرة .



القسم الثالث

---

تنويعات دلتاوية





## تنويعات دلتاوية

رغم الشقة الزمنية الواسعة ٠٠ التي تفصل بين مراحل تعمير الدلتا منذ النيلوتي ( العصر الحجري الحديث ) وحتى القرن ١٩ الميلادى ، فإن عوامل التغيير فى خريطة التعمير الدلتاوى ٠٠ لم يطرأ عليها تغير كبير ، انها تتمثل - ببساطة - فى **التغيرات السكانية العامة ، وزيادة عدد السكان تدريجيا من ناحية ، وما يؤدى اليه ذلك من جهود فى اتجاه استصلاح الاراضى البائرة ، وما يصحب ذلك من انشاء وتدعيم شبكة كافية ومناسبة من قنوات الري والصرف من ناحية ثانية ، ونمو مراكز السكن عددا وحجما واتصالها بواسطة الطرق والمشايات من ناحية ثالثة ، ولا يجب أن يحجب هذا التلخيص السرعة النسبية التى تمت بها عملية تعمير شمال الدلتا والاستفادة من معطيات التقدم ووسائله فى هذا المجال .**

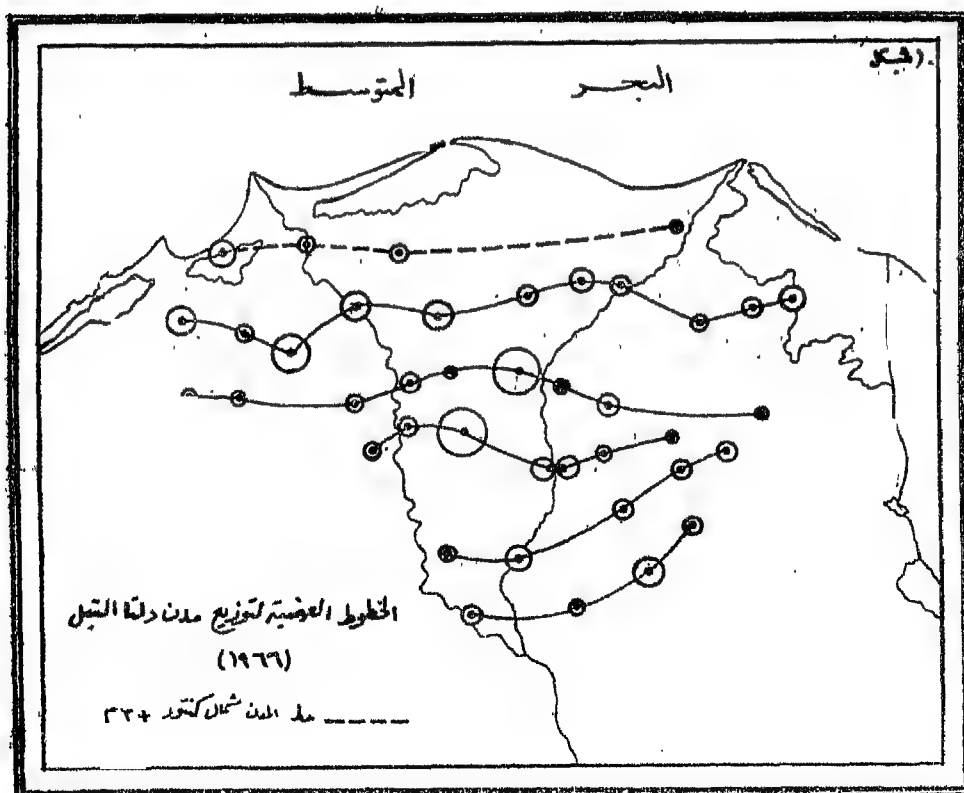
وهكذا ٠٠ فان التنويعات الأساسية فى خريطة الدلتا العمرانية - التى تبدو كإقليم متوحد تسود الزراعة ربوعه - هذه التنويعات تتمثل فى تفاوت الكثافة السكانية بين أنحائها ، وفى اختلاف نسبة الاراضى المزروعة والبائرة الى جملة الزمام فى مناطقها ، وفى تباين مراحل نموها السكنى بالنسبة لعزبها وقراها ومدنها .

- ولم يكن شمال الدلتا بعيدا عن عوامل التغيير هذه ٠٠ كما أنه يشهد تنويعات مماثلة ، وان كانت العوامل قد وصلته متأخرة نسبيا وخاصة هوامشه الشمالية ، كما أن التنويعات أقل وضوحا بحكم التطورات الحضارية الحديثة فى الدلتا عامة ٠٠ وشمالها خاصة .

- وحتى ثلاثينات هذا القرن ، كانت الدراسة والخرائط ٠٠ تصنف الأجزاء الشمالية من الدلتا كإقليم برارى تسوده مجموعات سكنية صغيرة مبعثرة ، ولا شك أن تغيرا كبيرا قد حدث بالنسبة لهذا التصنيف ، وذلك ضمن مظاهر التغيرات الأخرى التى شملت شمال الدلتا ، لقد تزحزح **خط السكن المبعثر** نحو الشمال تدريجيا ، مع تقلص مساحات البرارى ،

وأصبح محصورا في الأجزاء المتاخمة لبحيرة البرلس مباشرة وعلى ساحلها ، وفي اللسان الغربى للبحيرة ، وفي المنطقة المحصورة بين البحيرة والأجزاء الشمالية من فرعى دمياط ورشيد ، بالإضافة الى معظم الأجزاء الشرقية لاقليم البرلس ، في هذا النطاق ٠٠ يتخذ نمط السكن توزعا مختلفا عن الأجزاء الواقعة جنوبيه ( شكل ١٨ ) ، فالى جنوبه مباشرة يمتد نطاق انتقالى ، تمثل « العزبة » نمط السكن السائد خلاله ، وترتبط العزبة بمناطق الاستزراع الحديثة التى تعدت المرحلة الحدية للانتاج ، وهو نطاق انتقالى ينتهى نحو الجنوب بسرعة الى اقليم السكن الراسخ القديم الزراعة والعمران الفرعونى ، وفي هذا النطاق الأخير تتوزع شبكة المدن فى المنطقة ، وتمثل آخر خط مدنى دلتاوى شمالى ، ( شكل ٤ ) .

والواقع أن محاولة الكشف عن نطاقات عمرانية فى شمال الدلتا ٠٠ تتم على أساس أنها تنويعات داخل اطار من التشابه الطبيعى الحضارى ،



تمايزت على أساس اختلاف مراحل التغير ونوع النشاط الاقتصادى وأهمية المركز السكى .

وبالنسبة للدلتا عامة وشمالها خاصة . يمكن تبين هذه التنوعات على النحو الآتى :

- أولا : تنوعات سكانية .
- ثانيا : تنوعات زراعية .
- ثالثا : تنوعات سكنية .

### أولا - تنوعات سكانية :

- وتوضح بيانات الكثافة السكانية فى الدلتا - وهى على مستوى مراكزها الادارية أن مراكزها الجنوبية والوسطى تعاني من ضغط سكاني ، تراوح بين ٨٠٠ - ١٠٠٠ نسمة/كم<sup>٢</sup> ، وتقل هذه الكثافة فى الاتجاه الشمالى . حتى تصل الى أقل من ٢٠٠ نسمة/كم<sup>٢</sup> فى معظم شمال الدلتا (١٩٦٠) ، وفى نفس الوقت توضح البيانات الزراعية - وهى أيضا على مستوى المراكز الادارية - أن نسبة المساحة المزروعة الى جملة الزمام . لا تقل عن ٨٠٪ فى معظم مراكزها الجنوبية والوسطى . ، تتناقص تدريجيا فى الاتجاه الشمالى . الى أقل من ٢٠٪ فى معظم الدلتا الشمالية ، ومن ناحية ثانية . فإن بيانات النمو السكانى منذ نهاية القرن ١٩ ، تشير الى أن أعلى معدلات هذا النمو تتحقق فى أجزاء الدلتا الشمالية ، ومعنى ذلك . أن الدلتا تتجه نحو مزيد من التجانس السكانى بين أجزائها ، ولا شك أن هذا الاتجاه إنما يرتبط نحو مزيد من التجانس السكانى بين أجزائها ، ولا شك أن هذا الاتجاه إنما يرتبط بمراحل استصلاح الأراضى البائرة فى شمال الدلتا ، تلك التى تعد من أهم عوامل جاذبية سكان الدلتا الجنوبية والوسطى للهجرة نحو الشمال

لقد شهدت الدلتا زيادة سكانية كبيرة بين ١٨٩٧ - ١٩٢٧ ، اذ تزايد عدد سكانها من نحو ٤٧ مليون الى مايزيد عن ٦٥ مليون نسمة ، أى بنسبة حوالى ٤٠٪ ، ويعنى ذلك . أن متوسط الزيادة السنوية خلال هذه الفترة لا تتجاوز ١.٣٣٪ وربما يشير ذلك الى بداية دخول الدلتا مرحلة نموها السكانى النشطة ، مرتبطة بعمليات استصلاح أراضيها البائرة فى هوامشها خاصة الشمالية .

- وفى الفترة التالية ٢٧ - ١٩٦٠ . تزايد عدد سكان الدلتا الى

نحو ما يزيد عن ١١ مليون نسمة ، أى بنسبة نحو ٧٠٪ خلال هذه الفترة ، وتوضح البيانات التعدادية ٠٠ أن معدلات النمو تصل الى أعلاها عند هوامش الدلتا ، حتى أن شمال الدلتا عموما ٠٠ قد حقق معدل زيادة ١٠٠٪ خلال الفترة المذكورة ، ولا شك أن هذا النمو السكاني الدلتاوى العام ٠٠ قد انعكس فى ارتفاع الكثافة العامة السكانية للدلتا باضطراد من ٣٠١ نسمة/كم<sup>٢</sup> (١٩٢٧) الى ٥٠٨ نسمة/كم<sup>٢</sup> (١٩٦٠) ، وقد تحققت هذه الزيادة فى أنحاء الدلتا بدرجات متفاوتة ، وأدت الى تناقص المساحة التى تقل عن ٣٠٠ نسمة/كم<sup>٢</sup> من ٥٧٪ الى ٢٦٪ من جملة مساحة الدلتا تتركز فى هوامشها ، كما تزايدت مساحة المنطقة التى تتراوح كثافتها بين ٣٠٠ - ٥٠٠ نسمة/كم<sup>٢</sup> من ٢٥٪ الى ٢٩٫٥٪ من جملة مساحة الدلتا ، وكذلك تزايد مساحة المنطقة ( ٥٠٠ - ١٠٠ نسمة/كم<sup>٢</sup> ) من ٢٢٫٤٪ الى ٣٥٪ ٠٠ تتركز فى قلبها بين فرعيها ، وبمقارنة هذه الصورة ٠٠ مع صورة النمو السكاني العام فى الدلتا لنفس الفترة ، يتضح أنه بينما تتجه كثافة السكان فى الدلتا للتناقص من قلبها بين فرعيها نحو هوامشها ، فإن معدلات النمو السكاني تأخذ اتجاهها معاكسا ، أى أن أعلى أجزاء الدلتا كثافة ٠٠ هى أقلها من حيث معدلات النمو ، وأن هوامشها الواسعة القليلة الكثافة عامة ٠٠ تشهد أعلى معدلات النمو السكاني فى الدلتا ٠ ( شكل ٥ )

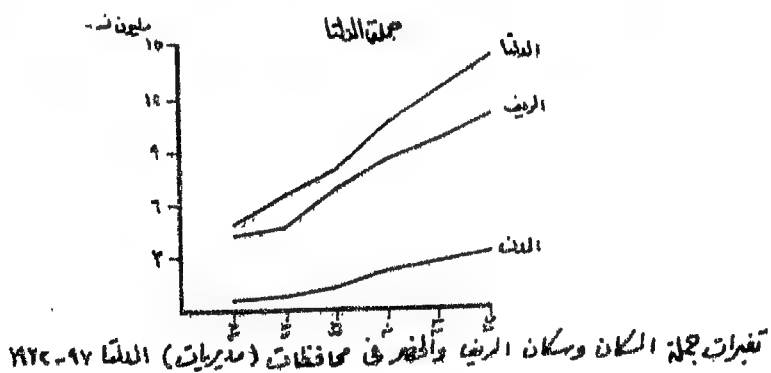
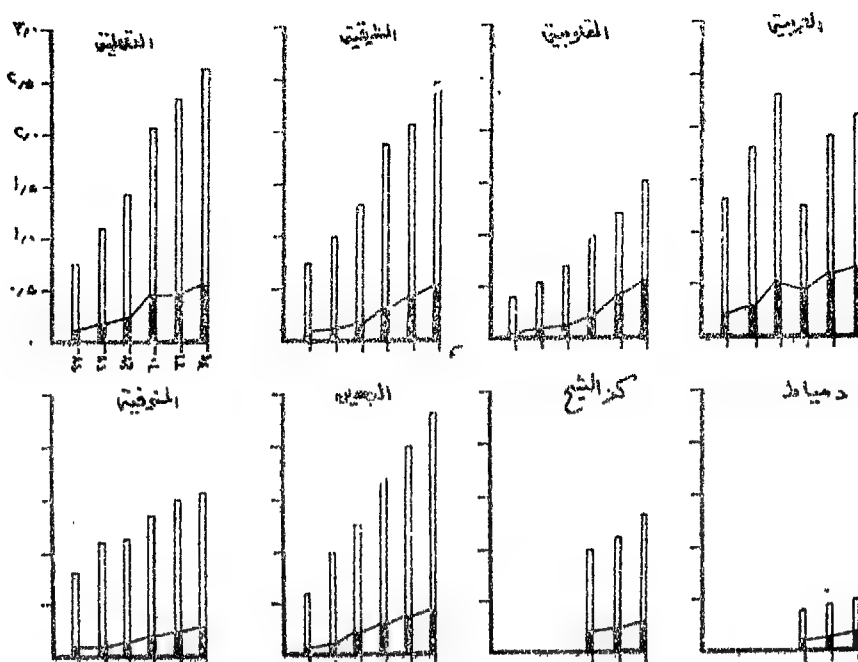
هذا فيما يتصل بأهم الحقائق المتصلة بالتنويعات السكانية فى

الدلتا .

## ثانيا - تنويعات زراعية :

١ - أما ما يتصل بالتنويعات الخاصة بالأراضى المزروعة والباثرة ونسبتها الى جملة الزمام فى مناطق الدلتا ، فالحقيقة الأولى هنا ٠٠ أن مساحة الأراضى المزروعة قد زادت بها عامة من نحو ٣٢٢ مليون فدان الى ٣٥٥ مليون فدان بين ١٩٢٩ - ١٩٦٠ (١) ، أى بزيادة نحو ٣٠٠ ألف فدان ، أى بنسبة لا تزيد عن ٨٪ خلال أكثر من ثلاثين عاما ، ولعل هذا الرقم فى حد ذاته عند مقارنته بأرقام النمو السكاني ٠٠ يوضح مشكلة من أهم مشاكل الدلتا عموما ٠٠ وهى ٠٠ تفاقم الضغط البشرى فوق الموارد الزراعية المحدودة ، وكانت هذه الزيادة تتمثل أساسا فى هوامش الدلتا ٠٠ خاصا الشمالية ، وتفيد بعض البيانات - عن مصادر

(١) تاريخ أول وآخر تعداد زراعى رسمى فى مصر .



أخرى في هذا المجال (٢) وتشير الى جملة الأراضي المستصلحة في  
الدلتا ، سواء عن طريق الحكومة أو الأفراد أو الهيئات حوالى ٤٠٠ ألف  
فدان ، بين ١٨٨٢ - ١٩٥٢ ، أى بمتوسط سنوى حوالى ٧ الاف فدان ،

(١) معهد التخطيط القومى ، مذكرة ١٠١ ، سبتمبر ١٩٧٠ هي ١٣٤ ، غير منشورة

( ستنسل )

ونظرا لقلة البيانات ٠٠ فانه يمكن تقدير المساحة المستصلحة بنحو ٣٠٠ ألف فدان ، وقام الأهالي باستصلاح الباقي ، وخاصة في الفترة بين ١٨٩٢ - ١٩٣١ ٠٠ حيث تم استصلاح ٢٤٤ ألف فدان تقريبا ، وتم استصلاح ٤٢ ألف فدان أخرى بين ٣٢ - ١٩٣٩ ، ثم توقفت الجهود لقيام الحرب - خاصة الحكومية - حتى سنة ١٩٤٧ ، وحتى سنة ١٩٥٢ تم استصلاح ١٤ ألف فدان أخرى .

وقد قامت مصلحة الأملاك ٠٠ باستصلاح معظم المساحات في الفترة الأخيرة ، وتوضح البيانات التفصيلية ٠٠ أن معظم هذه الاضافات لزمام الدلتا المزروع ٠٠ قد تمت في هوامشها الشمالية ، حيث أضيف أكثر من ١٠٠ ألف فدان الى هذا الزمام في شمال الدلتا بين ١٩٢٩ - ١٩٥٠ .

- وقد قام الأهالي بالجهد الأكبر في استصلاح الأراضي في شمال الدلتا بعد هذا التاريخ ، اما بالجهود الفردية البحتة عن طريق وضع اليد على الأراضي البور ثم استصلاحها ، أو كأيدى عاملة أجيرة في الشركات العاملة في استصلاح الأراضي والتفتيش وأهمها ٠٠ شركة مساهمة البحيرة ( سيدى سالم ) ، في شمال مركز كفر الشيخ ، وشرق وشمال مركز سيدى سالم ، والشركة الانجليزية في مركز دسوق ، والتفتيش الأميرية والزراعية في باقى أجزاء المنطقة .

والواقع أن خريطة استغلال الأراضي في المنطقة قد تغيرت تغيرات أساسية في العقدين الأخيرين ١٩٥٠ - ١٩٧٠ ، وتزحزح خط البوار القديم ٠٠ حتى لم يعد من الممكن تمييزه ، الا في الأجزاء المتاخمة لساحل بحيرة البرلس مباشرة ، لقد أضيف أكثر من ١٠٠ ألف فدان أخرى الى المساحة المزروعة في شمال الدلتا ٠٠ خلال هذه الفترة القصيرة ، ويوضح الجدول الآتى مراحل استصلاحها ( الوحدة ١٠٠٠ فدان ) :

٥٢ -	١٩٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	١٩٦٧	جملة
٢٥	٢٠	١٧٦٦	٢٣٦٦	٢٥٢٢	٢٨	٤	٤	١٠٦٩	

كما أن هناك تحت الاستصلاح نحو ٥٦ ألف فدان آخر .

- على أن المرجح أن الأرقام تزيد عن ذلك كثيرا ٠٠ اذ ما أضيف اليها المساحات المتناثرة التي يقوم الأهالي باستصلاحها ، وخاصة تلك البائرة الواقعة بين المساحات المزروعة من قديم ، فالأرقام المذكورة هي جهود الحكومة في هذا المجال ، وتخضع هذه الأراضي الحديثة المستصلحة لخطه تنمية شاملة لعنى من المعانى ، تقسمها الى مناطق ، وتقسم المناطق الى مزارع ، بمتوسط ٥ آلاف فدان للمزرعة ، ومع تأجيل مناقشة القدرة

الانتاجية للأراضي المستصلحة ، فان تغييرا كميلا لا شك فيه ٠٠ وقد حدث في خريطة استغلال الأراضي في المنطقة ، فمعظم هذه المساحات الجديدة ، كانت عبارة عن سياحات مغمورة موسميا أو دائما بمياه بحيرة البرلس ، بالإضافة الى ذلك ٠٠ فان بضع عشرات من القرى الجديدة ٠٠ قد أنشئت في المناطق المستصلحة ، وهي تمثل بمستوى مساكنها ٠٠ نقلة ٠٠ لا شك فيها للمساكن الريفي التقليدي الشائع ، ويعبر ذلك - بتفصيلاته - ليس فقط عن مجرد زيادة كمية في مساحة الأراضي على حساب البائرة ، بل وعن ظهور منطقة أو نطاق شمالي يخضع لحطة تنمية شبه شاملة ، ونتائجها بالغة الأهمية بالنسبة لتطور ريف شمال الدلتا عامة .

- لقد أدى التوسع الزراعي الأفقي - السابق الإشارة اليه - من ضمن ما أدى الى زوال حدة الثنائية القديمة بين الأراضي المزروعة والأراضي البائرة في شمال الدلتا ، وحلت محل هذه الثنائية ظلال انتاجية ٠٠ تعكس تفاوت القدرة الانتاجية لأراضيها ، ويمكن انتظار نتائج التغير الكيفي في انتاجية الأراضي ٠٠ مع العناية المستمرة بالأراضي المستصلحة ، سواء من حيث الدورة الزراعية المستخدمة أو زيادة كفاءة شبكة الري والصرف ، أو من حيث تحسين خواص التربة طبيعيا وكيمياويا .

وحسب الدراسات الخاصة بالقدرة الانتاجية للأراضي (١) ، يتبين أن أراضي الدرجة الثالثة الانتاجية ٠٠ تمثل الأرضية العامة للأراضي المزروعة في شمال الدلتا عموما بنسبة لا تقل عن ٦٠٪ من جملة أراضيها المنزرعة على مستوى مراكزها الادارية ، وهي الأراضي المتوسطة الانتاجية - في حدود المتوسط العام لانتاجية الفدان في مصر عامة - وفوق هذه الأرضية المتوسطة الخضرة ٠٠ يوجد ظلان : الأول : عميق الخضرة ٠٠ يمثل أراضي الدرجة الثانية - ويفوق متوسط انتاجها المتوسط العام لانتاجية الفدان في مصر - ويتمثل في هوامش شمال الدلتا الجنوبية ، والثاني : باهت الخضرة ٠٠ ويمثل أراضي الدرجة الرابعة - وتقل انتاجية الفدان عن المتوسط العام في مصر - ، وتخلو المنطقة عموما من أراضي الدرجة الأولى الفائقة الانتاجية ، هذا وتجدر الإشارة الى أن هذه الدراسات تصنف الأراضي انتاجيا الى هذه الدرجات الأربع .

(١) ومن أهمها ٠٠ دراسة الحصر التصنيفي للأراضي ٠٠ التي قامت بها وزارة الزراعة ( الادارة العامة للأراضي ، قسم حصر الأراضي ) وتعتمد على دراسة التربة وصفاتها الميكانيكية والكيميائية ، ثم دراسة « التصنيف الاقتصادي للأراضي الزراعية في مصر » للدكتور أحمد زكي شعيرة ( وزارة الزراعة ، مصلحة الاقتصاد الزراعي والاحصاء ، ١٩٥٩ ) ، وتعتمد على دراسة متوسطات انتاجية المحاصيل الهامة خلال فترة محددة ، وتبين الوضع الانتاجي للمراكز الادارية وترتيبها احصائيا .

غير أن الدراسات التفصيلية التالية ٠٠ توضح أن القدرة الانتاجية لشمال الدلتا ، تتجه نحو التحسن عامة ، كما تتنوع محاصيلها سنة بعد أخرى ، بحيث أصبح من الصعب - أحيانا - تقسيم المنطقة الى أقسام حسب القدرة الانتاجية والتنوع المحصولي .

وإذا اتخذنا محافظة كفر الشيخ ككل - كنموذج يوضح الموقف الانتاجي بالنسبة للمحاصيل الزراعية المختلفة في شمال الدلتا ، مقارنة بالدلتا عموما يمكن تقديم هذا الجدول ٠٠ الذى يوضح متوسطات الانتاجية للفترة بين ١٩٦١ - ١٩٧٥ فى كلا المحافظة والدلتا :

البيان	القمح	الفول	الشعير	الكتان		القطن	الأرز	الذرة	
				بذرة	قش				
البيان	أردب	أردب	أردب	كجم	قنطار	قنطار	ضريبة	أردب	أردب
المحافظة	٦٢٢٧	٤٢٢٢	٨٦٦٢	٤٠٠	٥٠	٤٠١	٢٣٧	١١٢٤	١٧٥
الدلتا	٧٠٥	٤٣٣٣	٨٧٥٥	٣٥٠	٤٥	٤٦٩	٢٢٨	١١٥٦	٦٥١

ويلاحظ من الجدول ٠٠ أن انتاجية الفدان ٠٠ تقل فى المحافظة عنها فى الدلتا ، باستثناء محصولي « الأرز ، الكتان ، ولكن الحقيقة ٠٠ أن هذا الانخفاض يبدو واضحا فى الأجزاء الشمالية من شمال الدلتا ، وتكاد متوسطات الأجزاء الجنوبية منه تتفق مع المتوسطات العامة للدلتا فى كافة المحاصيل مع احتفاظها بتفوقها بالنسبة للأرز والكتان ، ومن الواضح أن الأجزاء الشمالية هذه حديثة الاستزراع ، ولا شك أن توالى زراعتها ، وتخطيطها مرحلة الانتاج الزراعى الحدى ٠٠ من الأمور التى تشير الى اتجاهها نحو انتاجية أعلى ، خاصة مع علاج مشاكلها الزراعية الرئيسية ٠٠ مثل قلوية وملوحة التربة ، ونقص مياه الري فى نهايات الترع ، ورداءة شبكة الصرف الحقلى .

- والواقع أن « الري والصرف » يعد أهم مشاكل المنطقة الزراعية ، وبمعنى آخر ٠٠ فهى المشكلة التى تنتج عنها بقية المشاكل الخاصة بملوحة وقلوية التربة ، وبالتالي انخفاض انتاج الفدان ، وهى تلخص باختصار فى حاجة المنطقة الى مقننات المياه الكافية لاتمام عملية غسيل التربة من أملاح واستصلاحها وزراعتها ( الري ) ، ثم فى حاجتها أيضا الى شبكة المصارف اللازمة لصرف هذه المياه - بعد ذلك - خارج التربة ، حتى



لا يرتفع مستوى الماء الباطنى ٠٠ بدرجة تهدد المحاصيل ( الصرف ) ،  
والمؤكد بعد ذلك - أن انتاجية الفدان ستصل الى متوسطاتها العامة فى  
الدلتا .

وقد سبقت الاشارة الى أهمية الري والصرف الفائقة بالنسبة لتعمير  
الدلتا ، هذه حقيقة مستمرة منذ العصر الفرعونى ، وقد دخلت منطقة  
شمال الدلتا مرحلة تعميمها الحديث ٠٠ حينما بدأت الدلتا بأكملها تجتاز  
عصر الري الحوضى الفرعونى ٠٠ الى عصر الري الدائم ٠٠ منذ بداية  
القرن ١٩ ، وكان الري الحوضى يتمثل فى الدلتا - فى مستهل  
القرن ١٩ - جنوبى خط يمتد بصفة عامة بين الدلتجات ، صفط الملوك ،  
دمهور ، ايتاى البارود ، شبراخيت ، الرحمانية ، دسوق ، سمنود ،  
المحلة الكبرى ، تيرة ، طلخا ، السنبلوين ، صافور ، فاقوس .  
أبو الأخضر ، بردين ، بلبيس ، وكانت فروع النيل ومجاريه الطبيعية  
تتدفق حرة فوق الاقليم الشمالى هذا الخط ، وهكذا كانت نسبة كبيرة  
من مساحة شمال الدلتا تقع خارج النطاق المزروع حوضيا ، وبمعنى  
أدق ٠٠ فان معظم الأجزاء الواقعة شمالى كنتور ٣م ٠٠ كانت من البرارى  
والمستنقعات حتى ذلك الحين ، على نحو يذكرنا بما كانت عليه الدلتا  
عموما قبل النيلوتى ، وقد دخلت مصر منذ بداية القرن ١٩ دور نموها  
الحديث ، وتضافرت عوامل داخلية وأخرى خارجية دفعت النمو فى  
مجراه ، ويعد التوسع الزراعى من أهم مظاهر هذا النمو ، فأدخلت  
اصلاحات متوالية فى نظام الري الحوضى ، بقصد مد الموسم الزراعى ،  
واستغلال مياه الفيضان الضائعة ، وتحويل موسم الصيف ( الشراقي )  
الى موسم زراعى ، وقد بدأ التحول النهائى للدلتا نحو الري الدائم مبكرا  
فى الجنوب عنه فى الشمال ، وذلك منذ سنة ١٨١٦ على وجه التحديد ،  
وقد تم هذا التحول من خلال الترع الصيفية المعتمدة على الرياحات  
الثلاثة ، وتمثل فى نظام متقطع من الترع المتدرجة والتي تجرى من أعلى  
الى أسفل ، بداية من الترع الرئيسية والفرعية ٠٠ وموزعة حتى المساقى  
بين الحقول ، ومنذ عام ١٨٢٠ ٠٠ بدأ العمل فى حفر عدد كبير من الترع  
الصيفية الرئيسية ، وتحويل عدد كبير من الترع النيلية الى صيفية  
لتمرير تصرفات الصيف المنخفضة ، فكانت هذه الترع الرئيسية - المتفقه  
مع مجارى النهر الطبيعية غالبا - تنحدر شمالا بانحدار يقل عن انحدار  
سطح الأرض ، فكانت كلما امتدت بعيدا ٠٠ اقتربت مياهها من سطح  
الأرض حتى تبلغه ، ومرت عملية تحويل الدلتا الى الري الدائم بعدة مراحل  
لتحقيق ذلك الهدف من ناحية ، ومواجهة مشاكله من ناحية أخرى ، ولم  
تلبث نتائجها أن بدأت فى الوضوح منذ منتصف القرن ١٩ ، واقرنت

بتعديل واسع في خريطة الدلتا ٠٠ بما صاحبها من انشاء الترع الجديدة ، ومشروعات تقوية جسور النيل والمجارى الرئيسية ، وأهملت الحياض القديمة تدريجيا ، وفوق ذلك ٠٠ ارتفعت مساحة الأراضي المروية صيفا ، في الدلتا من أقل من ٢٥٠ ألف فدان قبل ١٨٧٢ الى أكثر من ١٥ مليون فدان سنة ١٨٩٨ ، وقد تمت هذه الزيادة أساسا في الدلتا الوسطى والجنوبية ، وهى الأراضي التى كانت تزرع من قبل على الرى الحوضى ، حيث أن الأراضي البائرة فى شمالها ، لم تكن قد اتضحت بعد نتائج استصلاحها ، بل ان ازدياد كمية المياه المستخدمة صيفا ، وارتفاع حجم المقننات المائية للمحاصيل الصيفية ، قد أدى الى أن أصبحت المناطق الشمالية بمثابة مناطق صرف للأجزاء المروية جنوبها وارتفعت مناسيب مستنقعاتها ، بارتفاع مستوى الماء والأراضي ، كما ازدادت ملوحة تربتها ، بما كان يصرف اليها من أملاح المناطق الجنوبية .

غير أن تأثيرات التطور بدأت تصل نتائجها الى الأجزاء الشمالية مع نهاية القرن ١٩ ، وارتبطت عملية التوسع فى أعمال الرى والصرف بحركة استصلاح الأراضي المباشرة ، وأصبحت السياسة الزراعية العامة تراعى هذا الارتباط وتعمل على توثيقه ، خاصة بعد أن اتضحت أبعاد المشكلة السكانية فى مصر وتزايد الضغط السكاني على الرقعة الزراعية المحدودة المساحة ، وقد أدخلت بعد الحرب العالمية الاولى - تحسينات مختلفة فى قنوات رى وسط الدلتا ، كما توافرت المياه اللازمة لاصلاح نحو ٥٠ ألف فدان من أراضيها البائرة الشمالية ، وأنشئت محطتان لطلمبات رفع المياه ، احدهما عند قوة على فرع رشيد ٠٠ والأخرى عند بلدة البلامون على فرع دمياط ، وذلك فى الأطراف الشمالية لترع وسط الدلتا وفى سنة ١٩٣٩ ٠٠ تم بناء قناطر الدلتا الجديدة - فتحسنت نظم الرى والمناوبات اذ أصبح يمكننا رفع المياه أمام القناطر الجديدة الى مستوى ٣٨٨م ، والمحافظة على كميات أكبر من المياه ، التى كانت تضيع سدى فى البحر ، خشية تصدع القناطر القديمة .

وقد تضمنت السياسة المائية بعد الحرب العالمية الثانية ، تنظيم وتحسين وسائل الرى والصرف بتعديل نظام الترع والمصارف القائمة ، خاصة بعد التوسع الزراعى فى الربع الثانى من هذا القرن ، وفقد تدريجيا مشروع انشاء جنايبات للترع الرئيسية ويتراوح عمقها بين ٢ - ٢٥ م ، لتخفيض مستوى الماء الباطني فى المناطق الشمالية ، كما روعى عند حفر قنوات جديدة للرى ، أن تكون عميقة بحيث ينخفض مستوى مياه الترع عن مستوى الأراضي الزراعية ٠٠ بما لا يقل عن ١٥م ، ولو أنها ستكلف الفلاح جهدا لرفع المياه ٠٠ بدلا من الرى بالراحة ،

واتجهت السياسة المائية حديثا الى تعديل طرق الري ، بما يكفل وصول المياه الى كافة أنحاء الرقعة المزروعة ، وضمن اطار عمليات استصلاح الأراضي البائرة في شمال الدلتا فقد رصدت ميزانية قدرها ٢٣ مليون جنيه منذ ١٩٦٥ ، لعمليات شق الترع والمرأى والمصارف الرئيسية والفرعية اللازمة ، وتمت العملية الأخيرة بواسطة تبطين هذه المجارى المائية بطبقة خرسانية لا تسمح بتسرب المياه منها ، وبدأت مراحل تركيب المواسير الخرسانية واقامة الكبارى والاهوسة وفتحات الري والصرف والموزعات وعمل فتحات ومصببات الحديد المشغول للبوابات والبدايات على هذه المجارى ، وتم تجهيز هذه المناطق بالآلات الميكانيكية اللازمة لرى الأراضى وصرف المياه الزائدة .

ورغم ذلك ٠٠ فان تقارير كفاية الري في شمال الدلتا ، تشير الى مشكلة نقص كميات الري اللازمة لشمال الدلتا عموما ٠٠ وهوامشيا شمالى كونتور ٣٣ خصوصا ، وذلك لاسباب تتصل بتناقص حجم المياه عند نهايات الترع من ناحية ، وحاجة الاراضى الحديثة الاستصلاح لكميات وفيرة من المياه من ناحية أخرى ، وبصفة عامة ٠٠ فان هذه الاراضى الشمالية البائرة ٠٠ تحتاج عند البدء فى استصلاحها الى انشاء الترع العمومية اللازمة لها ، على أن يراعى زيادة المخصصات اللازمة للرى ، حيث أن هذه الاراضى ٠٠ اما طينية شديدة الملوحة وتحتاج لكميات كبيرة من مياه الري ، أو أراضى رملية سريعة النفاذية للماء ، وتحتاج بدورها لكميات وفيرة من المياه ، كما يجدر زيادة الاهتمام بتوسيع مجارى الترع العمومية التى تروى شمال الدلتا ، مع زيادة مقنناتها المائية حتى تصل لنهاياتها ، خصوصا أثناء الصيف ، وذلك لمواجهة الملوحة المرتفعة من جهة ، ورفع انتاجيتها من جهة أخرى .

وفى هذا المجال تجدر الإشارة الى امكانية الاستفادة من مياه المصارف فى الري لتغطية نقص المياه فى هذه الأجزاء الشمالية ، فقد أثبتت بعض الدراسات ٠٠ صلاحية مياه بعض المصارف الرئيسية فى المنطقة للرى ، وذلك فى أوقات الحاجة وفى مواسم معينة ، على أن تخلط بكميات مناسبة من مياه الترع ، وتبدو الحاجة ملحة عند نهايات الترع الرئيسية ، وبالأخص أثناء زراعة محصول الأرز ، وتشير هذه الدراسات الى صلاحية مياه مصارف « ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، البنوان - نشرت - بحر نشرت » على وجه الخصوص تحت عدد من الشروط ، أهمها مدى الحاجة الى المياه ، ونوع التربة والمحصول ، مع اضافة الجبس الزراعى لمنع القلوية .

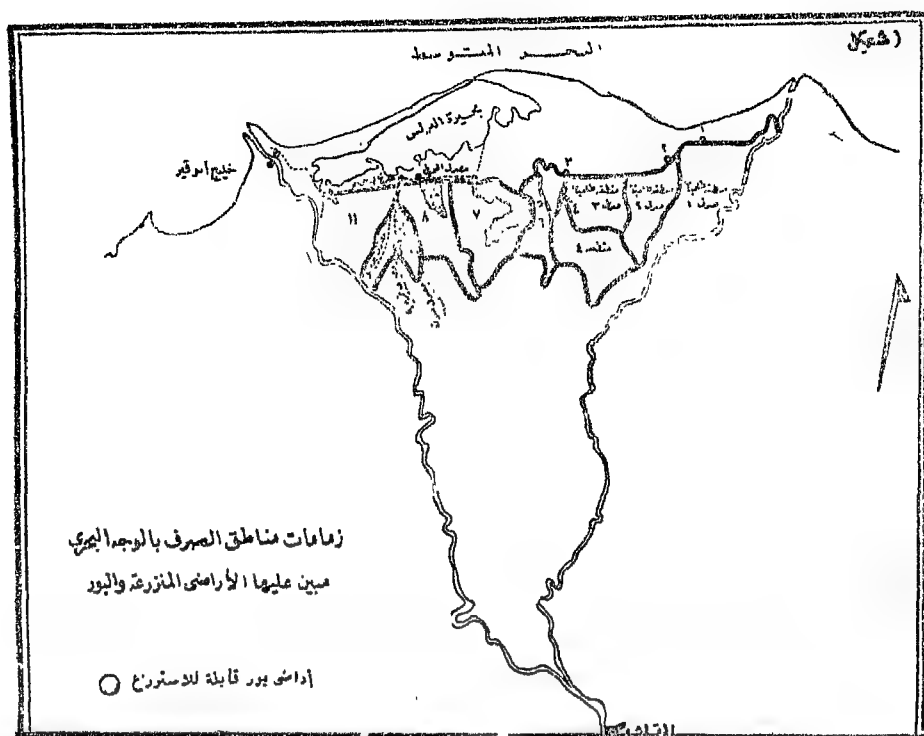
ولم تواجه الزراعة الدلتاوية الصرف كمشكلة حادة - وأحيانا

مزمنة - الا بعد تعميم نظام الري الدائم خلال القرن ١٩ ، فقد أصبحت الأراضي تروى طوال العام ، مما أدى الى ارتفاع مستوى المياه الباطنية ، وقصر فترة الشراقي ، لقد كان التغيير في نظام الري ، ينطوي على تغيير بعيد الأثر في ظروف النبات والتربة ، وكان تدهور محصول القطن في سنوات الفيضان المرتفع ، نذيرا بضرورة اقامة شبكة صرف موازية لشبكة الري ، وقد أدت الرغبة في استصلاح أراضي شمال الدلتا الى أن يظفر الري بالعناية اللازمة ، ولقيت منطقة شمال الدلتا عناية خاصة . . حيث أن مشكلة الصرف . . كانت أوضح ما تكون في أراضيها .

والهدف من الصرف . . هو التحكم في منسوب المياه الأرضية لعمق معين من منطقة الجذور ، فوجود المياه الأرضية لمدة طويلة فيها . . يعوق عمليات الحياة المختلفة للنبات ، كالتنفس والنتج والتمثيل الكلوروفيل ، كما أن من الأغراض الرئيسية للصرف ، تخليص التربة من الأملاح القلوية والحامضية ، ومن شأن ذلك أن يزيد من القدرة الانتاجية للتربة .

ورغم أنه قد تم شق عدد من المصارف في شمال الدلتا ، تصب في البحر أو في البحيرة منذ نهاية القرن ١٩ ، الا أن مشروعات الصرف الهامة قد أُرجئت بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى مما أدى الى تفاقم المشكلة ، وكان الرأي أن جنوب الدلتا ، ليس في حاجة الى الصرف لارتفاع أرضه ، واستخدم الكثير من الترع في أطراف الدلتا الشمالية كمصارف وقد قسمت أراضي الدلتا - بعد ذلك - الى قسمين من حيث الحاجة للصرف ، يقع الاول شمال كونتور ٣م ، ويصرف بواسطة الطلبات ، لالقائها في البحر أو البحيرة ، وقدرت مساحته بنحو ١٠٢٠ مليون فدان أما الجزء الجنوبي من الدلتا فقد مدت خلاله المصارف اللازمة ( شكل ٦ ) .

وبدأ تعزيز الصرف في شمال الدلتا منذ سنة ١٩٢٧ ، بإنشاء شبكة مناسبة لصرف المياه الباطنية المرتفعة ، وغسيل الأملاح الزائدة وكانت الحكومة قد أخذت منذ سنة ١٩٢٥ باقتراح استخدام القوى الكهربائية لإدارة طلبات الصرف ، وذلك باقامة عدة محطات صرف فرعية في هذه المنطقة ، ويلخص الجدول الآتي بعض المعلمات عنها :  
( المنصرف = ألف م<sup>٣</sup>/ في الثانية ، الزمام بالآلف فدان ) :



( شكل ٦ )

المحطة البيان	٢	٣	٤	٦	٧	٨	١٠	الزيتى المنندرة	الزيتى	ازغلول	البرلس
تاريخ الانشاء	١٩٣٣	١٩٣٣	١٩٣٣	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٥٣	١٩٣٢	١٩٣٢	١٩٣٣	١٩٥٣	١٩٦٦
المنصرف	٢٠	١٨	٢٥	١٥	٢٥	٤٥	٤٥	٤٥	١٨	٢٠	٩
الزمام	٦٣	٥٦	٦٩	٣٣	٥٠	٨٠	٥٦	٥٧	٤٤	١٨	١٥

وقد أدت هذه المحطات الى تخفيض مستوى الماء الأرضى وتخفيف معدلات الملوحة فى التربة وكانت من العوامل الهامة وراء زيادة مساحة الاراضى المزروعة فى هذه المنطقة من الدلتا ، غير أن الصرف بالآلة لم يأت فى شمال الدلتا بالفائدة التامة لاحتياجه كذلك الى انخفاض مستوى المياه الأرضية فى الاراضى المجاورة كلها ، ويتضح من ذلك أن الاعتماد الكلى على المصارف لا يحل مشكلة ارتفاع الماء الباطنى ، مادام نظام الري الحالى

يقتضى بأن يجرى الماء على مستوى عال في قنوات الري ، بحيث يمكن الأهلالي من الري بالراحة ، وقد أثبتت الدراسات عدم التناسب بين سرعة تدهور الأراضي وبين كفاءة عمليات الصرف ( شكل ٧ ) .

وقد اتجهت السياسة بعد ذلك الى مراعاة أن تكون الترع الجديدة عميقة بحيث تنخفض عن مستوى الأرض الزراعية بما لا يقل عن ٥٠ سم ، كما عمقت الترع القديمة ، وظهرت ضرورة تعميق المصارف الرئيسية الى ٢٥ سم عن مستوى سطح الأرض ، فضلا عن الاهتمام بشبكة المصارف الفرعية والحقلية وتعميقها وتطهيرها .

— وهكذا . . تتضح أبعاد مشكلة . . « الصرف في شمال الدلتا »  
 . . كمرض مزمن ، فهناك الأجزاء المحرومة من الصرف تماما ، شمالي خط الطلبات المذكورة في الجدول ، والأجزاء التي تحتاج لتحسين شبكة الصرف خلالها بشكل عاجل . . وتشمل باقى أجزاء المنطقة تقريبا ، وتدل دراسة مستويات الماء الأرضي في معظم شمال الدلتا . . على أنه يتراوح بين ٨٠ - ١٥٠ سم في معظم أراضيها ، أما الأراضي التي لم يظهر بها ماء أرضي حتى عمق ١٥٠ سم . . فلا تتمثل الا في هوامش الاقليم الجنوبية ، أما الهوامش الشمالية ، فان الماء الأرضي يوجد على عمق أقل من ٨٠ سم ، خاصة بالقرب من ساحل البحر والبحيرة ، وبعض المساحات المنخفضة المنسوب . . التي تتأثر برشح مياه الترع الرئيسية ، ليس هذا فحسب . . بل أن ملوحة الماء الأرضي هنا عالية قد تزيد عن ٢٠ ألف جزء / مليون ، وهي درجة ملوحة عالية تغمر جذور النباتات وتضعف إنتاجيتها للغاية .

— وتكتنف عملية الصرف في شمال الدلتا مجموعة من المشاكل المتصلة بحاجة معظم المصارف الى التطهير وإزالة نبات الهايستنت الذي يسد مجاريها ويرفع منسوبها ، ويتسبب بعد ذلك في إعاقة الصرف الحقل ، ثم ما يتصل بارتفاع مناسيب المياه في المصارف الرئيسية للمنطقة . . التي تنتهي اليها معظم مياه صرف الدلتا ، ويؤدي ذلك — أيضا — الى تعطيل صرف مياهها خلال مصارفها الفرعية والحقلية . ومن ناحية أخرى . . فان عمليات تطهير المصارف الرئيسية ، كانت تجرى حسب المبالغ المدرجة ، لا حسب احتياجات التطهير الفعلية لهذه المصارف ، ولم تكن كفاءة الماكينات الموجودة في هذه الأجزاء لسحب مياه الصرف المتدفقة اليها . . تكفى لخفض منسوب المياه الباطنية لأكثر من متر واحد ، بينما يجب أن يهبط هذا المنسوب الى أكثر من ٢٥ سم ، حتى يتم انقاذ أراضيها من مياه الصرف المرتفعة الملوحة ، والتي تمنع نمو المحاصيل .



أما شبكة المصارف الحقلية فى الأراضى المزروعة ٠٠ فحتاج الى تطهير وتعميق الى أكثر من ١٠٠ سم ، حيث أن غالبية أراضى المنطقة طينية ثقيلة القوام بطيئة النفاذية للماء ، وتجدر الإشارة الى خلو أجزاء واسعة من جنوب المنطقة من المصارف الحقلية ، وهذه تحتاج الى شبكة كافية من المصارف الحقلية العميقة بالمواصفات المحددة .

٣ - وتعد « المصارف المغطاة » من أهم وسائل تحسين حالة المصرف فى شمال الدلتا ، فقد ثبت أن المصارف المكشوفة تستنفذ نحو ١٥٪ من مساحة الأراضى الزراعية ، كما تعقد من العمليات الزراعية ، ويتعذر دوام صيانتها بسبب النمو المستمر للحشائش والطفيليات ، وهى من أسباب اسراف الفلاح فى استهلاك مياه الري ، فضلا عن تمزيقها للملكيات الزراعية الصغيرة ٠٠ وما يتبع ذلك من منازعات ، ولذلك اتجهت الأنظار نحو المصارف المغطاة منذ سنة ١٩٣٨ ، شملت حتى سنة ١٩٤٢ ٠٠ تنفيذ شبكات من الصرف الحقلى المغطى فى مساحة ٢٠ ألف فدان ٠٠ معظمها فى المنوفية ، وأثبتت البحوث التقييمية سنة ١٩٥٣ ٠٠ بالاستعانة بالتحليل الإحصائى للمحاصيل الزراعية ، أنها قد ساهمت بكفاءة فى تخلص التربة من الأملاح الزائدة ، وفى زيادة إنتاجية الفدان ، ويمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلى : -

١ - تتخلل شبكات الصرف المغطى الحقول ٠٠ وتوفر لها - بعمقها - صرفا كاملا ، فضلا عن إتاحة الفرصة لتكاثر الفطريات والبكتريا ٠٠ والتفاعلات الكيماوية اللازمة للنبات .

٢ - بحساب الزيادة فى الدخل العام للفلاح ، وجد أنها تصل الى ١٠٠٪ ، ويلاحظ أن الزيادة فى الانتاجية ، بدأت عقب السنة الاولى للتنفيذ ، ووصلت الى أعلاها فى السنة الثالثة ، واستمر معدل المحصول مرتفعا ومنظما بعد ذلك ، كما انتشرت زراعات أخرى مجزية لم تكن تزرع من قبل مثل البطاطس .

٣ - لم يتجاوز أقصى مقنن للصرف الحقلى ٢٠٪ من مقنن الري ، ويبلغ مقنن الصرف للمناطق ذات الصرف المغطى ٥٠٪ من مقنن الصرف للمناطق الأخرى ذات الصرف المكشوف ، وذلك بعد إلغاء الصرف السطحي الذى يؤدى الى ارتفاع مناسب المصارف العمومية .

٤ - تخلصت التربة من الأملاح الذائبة ، وكانت نسبة الأملاح بعد ذلك فى الحدود المطلوبة ، كما قلت الاحتياجات المائية لمناطق الصرف المغطى بنحو ١٧٪ كنتيجة لعدم تسرب مياه الصرف السطحي للمصارف ،



وتعمر المصارف المغطاة مالا يقل عن ٥٠ سنة ، متى اتقنت صناعتها وتنفيذها ، وأجريت الصيانة اللازمة التي ثبتت قلة تكاليفها .

ولم يدخل اقليم شمال الدلتا ٠٠ ضمن نطاق الصرف المغطى ، الذى بدأ تنفيذه مع الخطة الخمسية الاولى ، وساهمت الدفعة الفنية للأمم المتحدة ١٩٦٢ فى دفعها بسرعة كبيرة ، بحيث تم تنفيذها فى مساحة ٢٥٠ ألف فدان موزعة على بعض محافظات الدلتا والصعيد ، على أساس أعماق الصرف ٢٥م وإبعاد الحقلية ٦٠م ، غير أنها تحتاج فى شمال الدلتا الى أبعاد تتراوح بين ٢٠ - ٦٠م ٠٠ حسب مساهمة التربة ، ومن المفيد الإشارة هنا ٠٠ الى أن الخطة العامة لإنشاء المصارف المغطاة تهدف الى استكمالها فى جميع أرض مصر سنة ١٩٨٠ ، ولا شك أن منطقة شمال الدلتا ٠٠ حيث يعد الصرف أهم مشاكل الزراعة يجب أن تعطى أولوية خاصة فى هذا المجال .

### ثالثاً : تنويعات سكنية :

أما بالنسبة لتنويعات السكن فى شمال الدلتا ، فهى كما سبقنا الإشارة ملخص لها فى الدلتا بأكملها ، لأنها تتفاوت بين نطاق السكن القروى القديم الراسخ العمران - مثل الدلتا الوسطى والجنوبية - المرتبطة بالزراعة منذ زمن ربما فرعونى ، والتميز بقراه المندمجة المتجاورة ، وبقلة عدد العزب خلاله ، وبظهور مدنه منذ وقت مبكر نسبياً ، ويشمل بصفة خاصة معظم أجزاء المنطقة جنوبى كونتور ٣م ، وبين نطاق السكن القروى الحديث منذ بداية القرن ١٩ ، ويتميز بارتباطه بالمناطق المستصلحة والمستزرعة منذ ذلك الحين ، وترجع أصول معظم قراه الى العزب التى نشأت مرتبطة بالمساحات المستصلحة ، وقد ظهرت باكورة نموه المدينى متمثلة فى « مدينة سيدى سالم » ( ١٩٦٠ ) وتتبدى أيضاً فى احتمالات ظهور خط مدينى آخر جديده شمالى كونتور ٣م . ليصبح بمثابة خط المدن النهائى فى الدلتا المصرية قبل سواحلها المتوسطة ، وتتميز المنطقة كذلك بزيادة عدد العزب التوابع لكل قرية بالنسبة للنطاق الأول الجنوبى ، ويتمثل هذا النطاق الثانى أساساً بين خطى كونتور ٣ - ١م فوق سطح البحر ، ثم النطاق الثالث ٠٠ نطاق العزب والسكن المبعثر دون قرى - حيث تسود حالات الرعاة وعشش الصيادين والدور المنفردة شمالى خط كونتور ١م ، ولا شك أن لهذه التنويعات الثلاث أسبابها التى تنصل بطبيعة المرحلة التعميرية من ناحية ، ثم بحجم الانتاج الزراعى الحالى من ناحية ثانية وللظروف الطبيعية السائدة من ناحية

ثالثة ، ويجدر الآن الإشارة الى هذه التنويعات السكنية بشيء من التفصيل .

### قرى البرارى :

— عند دراسة العمران فى اقليم ما ٠٠ تجدر الاجابة عن مجموعة من الأسئلة ٠٠ تتصل بالأسباب التى دفعت الانسان للاستقرار فى هذا المكان ، ونوع العمران الذى أقيم فى المكان المختار ، والمدى الذى سار فيه المركز السكنى حتى وصل الى مرحلته الحالية ، وهل فى الامكان تحديد تأثير العوامل الطبيعية والبشرية فى اتخاذ المركز السكنى نمطه الحاضر ؟ .

ولا شك أن الأراضى المزروعة أو القابلة للزراعة ، تعد الأرضية الأساسية لتوزيع القرى ، فالأخيرة تنوزع داخل الأراضى الزراعية — وطيفيا — لخدمتها ، والأهم بالنسبة للمركز السكنى المسافة الى الزمام ، فهذه هى الرحلة الملحة يوميا ، ثم هناك العامل التاريخى وراء اختيار مواقع القرى ، فقد يختار طلائع المستقرين مكانا لسكناهم ، يتضح بعد ذلك أنه أقل ملاءمة من رقعة أخرى لا تبعد كثيرا عنها تبعا لظروف الاقليم الحضارية المتغيرة ، وتمسك القرية بموضعها القديم غالبا ، وذلك رغم بعده — أحيانا — عن الطرق الحديثة أو الترع الرئيسية ، ولذلك قبل تظهر بعض العزب لتكون أقرب الى مظاهر الخدمة الاقليمية الحديثة .

لقد كان لمراحل تعمير شمال الدلتا آثارها أيضا فى توزيع قراها . . . فهى تميل للتجمع والتجاور فى أجزاء المنطقة الجنوبية وعلى طول فرعى دمياط ورشيد ، وتنتج للتباعد والتخلخل شمالى كونتور ٣م ، حيث تتزايد مساحة زماماتها وتسود العزب المنناثرة كمظهر سكنى رئيسى ، ولا شك أن هذه الصورة كانت أكثر وضوحا فى الماضى ، وقبل عمليات استصلاح الأراضى التى تمت فى عقود السنين الأخيرة ، فمثلا لا يتجاوز مساحة زمام قرى مركزى دسوق وقلين — فى المتوسط — ٩ كم ٢ ، ٢٥ كم ٤ على الترتيب ، وهما من المراكز القديمة العمران ، بينما يصل الى أكثر من ٦١ كم ٢ فى مركز بيللا والى نحو ٣٥ كم ٢ فى مركز سيدى سالم . وهما من المراكز الحديثة ، ومتوسط عدد العزب التوابع فى المراكز الأربعة هو ( ٧ ، ٤ ، ٢٣ ، ١٨ عزبة لكل قرية فى المتوسط ) على الترتيب تدليلا على الحقيقة السابقة .

وربما يكون من اليسير تبين عدد من المحاور الرئيسية لتوزيع القرى عموما ، غير أنها تتفاوت فى وضوحها وثقلها وهى فى آخر الامر قد

لا تشمل جميع هذه القرى وتوابعها ، فسيظل عدد منها لا يقع على محور منها واضح الاتجاه والتبعية ، كما أن بعضها الآخر قد يقع على عدد منها ( ترعة ، مصرف ، طريق ، خط حديدى ٠٠٠٠ ) مما يجعل نسبتها الى أيها مشكلة ، خاصة عند محاولة تحديد ثقل هذه المحاور سكانيا واقتصاديا ، والصورة التوزيعية بعد ذلك ليست أيضا بسيطة ، فشبكة الرى والصرف — مثلا — وتعد من أهم هذه المحاور ، تنتشر فى الدلتا فى اتجاهات شتى وبأسماء متعددة على طولها ، وتبعد القرى والعزب عليها ليس منتظما مما يصعب تفسيره ، وحتى المحاور الطبيعية ( فرعا دمياط ورشيد ، ساحل البحر المتوسط ٠٠٠ ) لا تنظم قراها ، فهى تتباعد عنها وعلى طولها بمسافات مختلفة .

— ولتوضيح حقيقة توزيع القرى فى الدلتا عامة وشمالها خاصة . .  
يمكن الاشارة الى بعض الملاحظات الخاصة بهذا الموضوع فى محافظة كفر الشيخ .

١ — تنظيم الترع والمصارف بمستوياتها العدد الأكبر من قرى المحافظة وعزبها ، والارتباط بين توزيع السكان الريفى وشبكة الرى والصرف — وظيفيا — مبعثه الصلة الوثيقة بين اقامة شبكة رى وصرف متوازنة وكافية وبين تعمير المنطقة ، وقد سبق توضيح أثر السياسة المائية منذ نهاية القرن ١٩ ٠٠ فى استصلاح واستزراع مساحات واسعة منها ، وببساطة يمكن تبين أن مواقع القرى فى المنطقة هى اقرب ما تكون لترعة الزمام أو مصرفه .

٢ — يعد فرع رشيد من محاور التوزيع القروى الهامة ، ويتميز فرع رشيد بوجود مجرى مائى يتوزع عليه السكن ، وهى من القرب من المجرى المائى بحيث لا يجدر اغفال تأثيراتها ، وهى أى المظاهر الطبوغرافية — تتمثل فى ترعة القضاة الرئيسية والشرع الاخرى الفرعية التى تأخذ منها أو من النيل مباشرة ، وكذلك فى الخط الحديدى دسوق / مطوبس ، ويمر بموازة الترعة مباشرة من الشرق ، ثم فى الطريق المصرف محلة أبو على / دسوق / فوة / مطوبس / برج مغيزل ، وجميعها من المظاهر الجذابة والمؤثرة بالنسبة لتوزيع المراكز السكنية ونموها ، ولهذا ٠٠ فان المحور وحده يستوعب أكثر من ١٨ ٪ من جملة سكان المحافظة .

واذا كانت قرى هذا المحور عامة ٠٠٠ من أقدم مراكز السكن فى شمال الدلتا ، ويظهر معظمها فى تقاويم البلدان المصرية اثناء العهد العربى ، الا أن القطاع الممتد من قرية منية جناح ( مركز دسوق ) جنوبا ، حتى قرية مطوبس ( مركز فوة ) شمالا ، وطوله ٥٥ كم ، كان بعيدا نسبيا

عن عوامل البوار التي تعرضت لها اجزاء المنطقة الشمالية ، وتأثر بها بالتالى القطاع الشمالى من مطوبس الى برج مغيزل ( ٣٠ كم ) ، ويظهر هذا التأثير والتباين فى عدة نواحى هامة منها اتجاه عدد السكان للتنافس تدريجيا فى الاتجاه الشمالى لفرع رشيد ، وتزايد نسبة الاراضى البائرة تدريجيا فى نفس الاتجاه ، حتى تصبح هى الظاهرة السائدة فى زمامات قرى هذا المحور ، بداية من قرية « الوقف قبلى » ، كما تتزايد أهمية حرفة الصيد بالضرورة فى نفس الاتجاه أيضا ، حتى تصبح هى الحرفة الرئيسية لسكان قريتى برج مغيزل والجزيرة الخضراء ، والى جنوبها حتى « عزبة ابو خشبة » والأخيرة مقر عمودية الوقت بحرى .

ويلاحظ أيضا تزايد عدد العزب فى نفس الاتجاه ، وزيادة نسبة ما تستوعبه من السكان ، باستثناء الجزء الشمالى الأخير من فرع رشيد شمال الجزيرة الخضراء حيث يظهر تجمع سكنى واحد هو قرية برج مغيزل وعديد من مراكز السكن الصغيرة التى لا تزيد عن بضعة دور ، متناثرة وسط السياحات المحصورة بين البحيرة وفرع رشيد .

— وبدراسة المسافات يتضح أن متوسط التباعد بين قرى رشيد هو نحو ٥٢ كم بين كل قرية وأخرى على طوله ، غير أن هذه المسافة ليست ثابتة ، فهى اقل من ٢ كم فى قطاعه الجنوبى فى المنطقة حتى قرية محلة مالك ( مركز دسوق ) ، ثم تصبح بين ٢-٣ كم بعد ذلك حتى قرية برج مغيزل شمالا ، التى تقع الى الجنوب من مصب رشيد بنحو ٥١ كم ، مع ملاحظة أن احجام القرى تميل للتناقص ايضا فى هذا الاتجاه .

٣ — وعلى النقيض من فرع رشيد . . فان ساحل البحر المتوسط . . ليس له وزن سكانى سكنى يذكر ، وباستثناء قرى البرلس ، لا تتوزع عليه سوى بعض العزب الصغيرة . . تتركز على اللسان الغربى لبحيرة البرلس ، وهى « المقصبة ، الحنفى ، مسطورة » وجملة سكانها ١٠٧٥ نسمة ( ١٩٦٠ ) ، وتمثل العزب الزراعية الوحيدة فى ذلك الشريط ، وبعد ذلك عشش متناثرة للصيادين وسكن خفر السواحل ، ولا يمكن توقع نمو عمرانى سريع لهذا الشريط ، خاصة فى ظل مشاكله الحالية الطبيعية والحضرية ، فضلا عن ضيق رقعته الزراعية ، ولكن من ناحية أخرى فان نمو ظهيره الجنوبى المتاخم للبحيرة جنوبا ، والقضاء على حاجز البوار الذى كان يفصله عن الدلتا ، ويجعل منه أقليم عزلة ، توحى بإمكانية ظهور مراكز سكن مرتبطة بهذا الظهير النامى ، خاصة . . . . اذا ما اشتملت خطة التنمية الشاملة لتلك الاجزاء . . على مد شبكة مواصلات مناسبة تصلها بالساحل الشمالى ، مما قد يهيئ الفرصة لظهور

نوافذ بحرية لتصريف انتاجها مباشرة الى الخارج ، على أن ذلك فضلا عن احتياجه لدراسات مستفيضة - مرهون بوقف تآكل الساحل الشمالى الذى يهدد بازالة النطاق بأكمله .

٤ - يقع البرلس محصورا بين البحر والبحيرة ، ويمثل نطاقا سكنيا له سماته الخاصة المتصلة بالحرفة والتوزيع ونمط السكن ، فمن ناحية الحرفة يمكن تقسيمه الى قسمين رئيسيين ، القسم الشرقى نسوده حرفة الزراعة أساسا ، والغربى تنتشر به قرى وعزب الصيد ، وترتبط القرى الزراعية ببطون الكتبان الرملية ، حيث موارد المياه الباطنية يسيرة المنال ، كما تتوزع قرى الصيد على ساحلى البحر والبحيرة .

٥ - بصفة عامة يمكن تقرير انه لا توجد قرية فى المنطقة - والمرجح فى غيرها أيضا - لا تقع على طريق بأى مستوى ، يصلها بما يجاورها من قرى أو بالعاصمة الاقليمية أو يصلها بالطريق المرصوف ذاته ، والثابت أن مواقع القرى سابقة على موقع الطريق وامتداده ، فالطريق يعد شريان منطقة بأكملها ، وهو وسيلة تنمية وربط وتعمير ، ولا يمكن أن تخلو خطة اقليمية اقتصادية من مقترحات خاصة بالطرق . تحسينا أو رصفا أو انشاء ، والمرجح أن رصف الطرق فى المنطقة . يتم أساسا للربط بين مدنها ، تقع عليها القرى المتناثرة بين المدينتين دون اختيار محدد لأياها ، وليس من المغالاة القول أن القرى تقع عليه صدفة أو بالضرورة ، ولذلك يجب أن تتخلل شبكة الطرق الرئيسية بين العواصم . شبكة أخرى داخلية تربط بين القرى وبينها وبين العواصم بصورة مباشرة .

٦ - وتتفاوت القرى من حيث عدد السكان تفاوتا بينا ، يتراوح بين أقل من ٥٠٠ نسمة الى أكثر من ٢٠ ألف نسمة ، ولا ينفرد شمال الدلتا بهذه الظاهرة . فهى استمرار لها فى الدلتا ، وليس هناك ارتباط واضح بين حجم القرية والسكان ومساحة زمامها ، فأحيانا تكون العلاقة طردية . أى أن ترتبط القرى الكبيرة بالزمامات الواسعة - ويتضح ذلك فى الاجزاء من المنطقة جنوبى كونتور ٣م ، ولكن هذه العلاقة لا تتضح فى الاجزاء منها شمالى الخط الكونتورى المذكور ، حيث يتسع الزمام دون أن يرتبط بحجم سكاني معين ، وذلك لاسباب تتصل بتخلخل الكثافة السكانية فى الاجزاء المذكورة ، ومن يراجع أخبار القرية المصرية فى كتاب « التحفة السنية » لابن الجيعان ، وهو سجل للقرية المصرية أيام حكم المماليك الى آخر حكمهم ، يظهر له أن أغلب القرى الدلتاوية ماتزال تحتفظ بمجموع مساحة أراضيها ، وتعود الزيادة الى استصلاح الاراضى البور ، والنقص لتجزئة زمامها وتوزيعه وظهور نواحي مستجدة ، والفرق

الضئيل مرجعه الاختلاف فى قياسها وفى وحدة المساحة وكانت قصة الغاب قديما .

٧ - وتنمو القرية من ناحيتين أساسيتين مترابطتين ، فمن المعروف أن السكن القديم المندمج يرتبط بالأراضى المزروعة منذ عهود بعيدة ، اتجهت مساكنها للاندماج حول النواة لأسباب تتصل بالحماية ، حيث يكتنف القلب القديم وحدات الجوار الناشئة تدريجيا ، ومن المرجح أن نواة القرية عبارة عن مركز أو قلب محاط بسلسلة من الحلقات غير المنتظمة ، والتى ينشأ عنها اكتناف القلب القديم وحمايته على حين تجعل الوصول اليه اقرب منالا عن طريق ممرات ملتوية ، لا يستطيع أن يجوس خلالها الا من يعرفها ، وعادة ما يوجد شارع متواصل الدوران يحيط بالكتلة السكنية القديمة ( شارع داير الناحية ) ، هذا من ناحية النمو السكنى ، وهى كذلك تنمو سكانيا ٠٠ أو هو ينمو سكانيا أولا ٠٠ ، الا أن الملاحظ أن القرية تظل تنمو - غالبا دون تغيرات واضحة فى وظائف سكانها العاملين أو فى مبانيها وقد يستمر هذا النمو حتى قد يزيد عدد سكانها عن ٢٠ ألف نسمة ، وتظل مجرد قرية كبيرة تضخمت فوق الحد ؛ دون تمايز واضح بينها وبين العديد من القرى الصغيرة الأخرى ، التى قد لا يزيد عدد سكانها عن ١ : ٢٠ من القرية الكبيرة ، وذلك سواء فى تركيب سكانها الحرفى أو فى وظائف المباني ، ورغم ارتفاع نسبة المتعلمين تدريجيا ٠٠ الا أن ذلك لا يؤثر فى تركيبها الحرفى غالبا ، وكذلك رغم انتشار مباني الحدامات الحديثة فى كثير من القرى الا أن ذلك يتم - عادة - على شكل مباني منفردة على مسافة من سكن القرية ذاتها .

٨ - وتجدر الإشارة الآن الى ظهور نطاق من القرى الحديثة ضمن خطة تنمية شاملة فى جزء من الاراضى المستصلحة حديثا ، شيد داخل اطارها ٦٣ قرية جديدة فى منطقة كانت شبه خالية من السكن ، ويرمى برنامج الاستصلاح الى استزراع معظم الاراضى البائرة فى المنطقة بحيث يتم القضاء على البوار نهائيا فى عام ١٩٧٨/٧٧ ، وقد يعنى ذلك أن هذا النمط الجديد من النمو القروى سوف يسود نطاق الاراضى البائرة فى المنطقة ، فقد اشتملت الخطة على انشاء القرى لايواء عمال الزراعة والمنتفعين الذين قدموا الى المنطقة منذ ذلك الحين ، سواء ضمن برنامج التهجير التابع للخطة ، أو من اجتذبهم مظاهر التعمير الحديثة فى تلك الاجزاء من الحرفيين الزراعين والعمال والتجار .

- وقد انشئت القرى الجديدة شمالى مراكز « بيللا ، كفر الشيخ ، سيدى سالم » ، وببساطة يمكن اكتشاف طبيعة المرحلة التعميرية التى

تمر بها المنطقة ، فهي تمثل مجموعة من القرى المنتظمة التوزيع ، المتشابهة من حيث التصميم على مستوى القرية والسكن ، ويخضع توزيع القرى هنا لعدد من العوامل ، أهمها المساحة المزروعة ، وتاريخ الاستصلاح ، وعدد القرى المركزية ، وفي الوقت الحاضر تتنوع القرى بمتوسط قرية لكل ١٩٠٠ فدان ، وفي الخطة أن تشتمل المزرعة على مساحة ٥٠٠ فدان تابعة لسكنها الخاص ، ومعنى هذا أن عدد القرى الحالية حوالى ربع ما يجب أن يكون عليه .

– واتجه التخطيط الى انشاء عدد من القرى المركزية كمراكز خدمة لمجموعة من القرى التوابع ، والمفروض أن تتوزع بمعدل قرية مركزية لكل ٣ قرى ، ولكن التوزيع الحالى بمعدل ١ : ٩ ، وتخلو مناطق مثل الحفير الوسطى والغربية وامتداد الحفير وغرب المنصور من قرية مركزية واحدة .

ولا شك أن نمط توزيع مراكز السكن فى القطاع يميل للانتظام من حيث التباعد والحجم ، ويلاحظ أن مواقعها أقرب لقنوات الري والصرف ، فضلا عن المشايات المرصوفة بالتربة الزلطية ، ومتوسط المسافات بينها من ٣ – ٥ كم ، غير أن المسافة لا تزيد عن ١٠٠٠ م بين القرية وأبعد نقطة فى الزمام قدر الامكان ، ويساعده شكل المزرعة المنتظم ، على تحقيق هذا التوزيع ، مما يجعل الرحلة اليومية بين السكن والحقل أكثر يسرا .

### قرى الصيد :

تمثل الزراعة النشاط الاقتصادى الرئيسى الذى يستوعب النسبة الكبرى من سكان الدلتا العاملين ، وهي – الزراعة – ما تزال تحمل امكانيات لا ستيغاب المزيد منهم ٠٠ خاصة فى هوامش الدلتا ، وهذه الامكانيات فى شمال الدلتا تمثل البوصلة التى تجتذب السكان الى شمال الدلتا وتكشف العمران والسكن فى انحاء المنطقة ، وتؤدى بها الى مسارات نمو مشابهة لتلك التى مرت بها الدلتا الوسطى والجنوبية .

ولكن الصيد « كحرفة » يكون ما يشبه اقليما محدودا ولكن متميزا ، يشمل عددا من قرى شمال الدلتا وعزبها ، تمثل خط السكن النهائى به ٠٠ وفى الدلتا ، وهي تلك القرى التى يستوعب الصيد بالنسبة الكبرى من سكانها العاملين ، تتوزع على طول ساحل البحر المتوسط وشواطئ بحيرة البرلس ، وفى منطقة السياحات المحصورة بين بحيرة البرلس وفرع رشيد ، وعلى طول الاخير بامتداد جنوبى الى ٢٥ كم تقريبا ، وعند نهايات مصبات وترع الدلتا الرئيسية فى البحيرة .

– ويمثل الصيد فى هذا النطاق مورد الدخل الرئيسى لسكانه ،  
تشاركه الزراعة بنسب متفاوتة فى أنحائه ، ويمثل النخيل والصناعات  
القائمة عليه موردا ثالثا للدخل ، ورغم ذلك فهو من أشد النطاقات  
السكنية فقرا وطردا لسكانه ، لأسباب تتصل بعزلة موقعه ورداءة  
مواصلاته وانعدامها أحيانا ، وتعرضه الطويل لعوامل البوار والاهمال ،  
ومواجهته لظروف بيئته الطبيعية بواسائل بدائية وهى بيئة قاسية .

وتتمثل المصايد الرئيسية فى بحيرة البرلس والبحر المتوسط  
وفرعى دمياط ورشيد ، بالإضافة الى الترع والمصارف الرئيسية فى  
المنطقة ، وتساهم البحيرات الشمالية بنحو ٦٠٪ من جملة انتاج المصايد  
المصرية ، أما المصايد البحرية فتبلغ نسبتها ٢٥٪ ، وباقى النسبة ١٥٪  
من المصايد الداخلية وتأتى بحيرة البرلس كثانية بحيرات مصر انتاجية  
( باستثناء بحيرة ناصر ) ، فهى تساهم بنسبة قدرها نحو ثلث جملة  
انتاجية هذه البحيرات الشمالية ، وتنتشر على شواطئها مجموعة من مراكز  
الصيد فى شمال الدلتا ، تشمل قرى « برج البرلس ، الساحل القبلى ،  
البنائين » بالإضافة الى عدد كبير من مراكز السكن ، لا تزيد فى معظمها  
عن بضعة عشش للصيادين .

ويعانى الصيد فى البحيرة من عدد من المشاكل يمكن تحديدها فيما

يلى :

### انكماش مساحة البحيرة :

ويرجع ذلك لعدد من الاسباب ، أهمها تناقص مواردها المائية فى  
السنين الاخيرة ، بعد ضبط عمليات الرى والصرف فى شمال الدلتا ، وقد  
تناقصت مساحتها بنسبة ٣٪ بين ١٩٣٥ – ١٩٦٠ ( مساحتها الحالية  
١٣٦ ألف فدان ) ، والمرجح زيادة النسبة فى السنوات القادمة بسبب  
عمليات اصلاح الزراعى فى قطاع شمال الدلتا .

وكان الرأى قد اتجه الى تجفيف بحيرة البرلس ، واستزراعها – أو  
أجزاء منها – للاستفادة من مياه السد العالى ، واتفق على تأجيل التنفيذ  
حين استكمال زراعة الاراضى القابلة للزراعة جنوبها أولا ، فضلا عن  
زيادة دخل فدان البحيرة من السمك عنه فى حالة استزراعه ، أما بالنسبة  
للبحيرة ، فمتوسط عمقها ٥٠ سم ولهذا كانت القوارب والسفن الشراعية  
والشباك هى وسائل الصيد التقليدية ، وليست هناك بطالة موسمية ،  
وان كانت حركة الصيد ترتبط بحركة العمال ، الذين يجذبهم العمل فى  
رشيد ودمياط لمدة ٣ شهور فى السنة خارج البحيرة .



تختلف نسبة ملوحة مياه البحيرة من موسم لآخر خلال السنة ، وقد تعرض التوازن السابق في ملوحتها للاختلال بعد انقطاع مياه الفيضان عنها ، وأصبحت قناة برنبال هي مورد المياه العذب الوحيد الموسمي لها الآن ، ويفتح الهويس عند مخرجها من النيل شمال مطوبس ، لتصريف مياه الفيضان بعد خروجها من قناطر أدفينا ، والمعروف أنه قبل انشاء قناطر أدفينا كان يقام سد ترابي لمنع مياه البحر من التوغل في فرع رشيد أثناء انخفاض منسوبه ، وكان هذا السد يقع شمال مخرج قناة برنبال الحالية ، وبذلك لم تكن البحيرة تحرم من المياه العذبة ، ولذلك يقترح تحويل فتحة قناة برنبال شمالا ، كما كان الأمر قبل انشاء قناطر أدفينا .

٣ - يتعرض الساحل الشمالى للبحيرة لنحو ١٠ نوات عاصفة تمنع خروج المراكب للصيد ، تستمر النوة بين ٣ - ١٥ يوم ، منها ثلاث في شهر يناير ، وواحدة في فبراير ، وثلاث في مارس وواحدة في كل من شهور ابريل ويوليو وسبتمبر واکتوبر ونوفمبر ونوتان في ديسمبر ، غير أن فترات هبوبها قد تتقدم أو تتأخر أو تزيد أو تنقص في حدود ضعيفة ، وهي ليست من مشاكل الصيد المباشرة في البحيرة ، ولكنها تواجه صيادى البرج في رحلاتهم البحرية ، كما انها تمتد بتأثيراتها وأمواجها العالية وأمطارها الغزيرة الى الصيد في البحيرة .

٤ - اطماء بوغاز البرلس : وقد سبقت الإشارة الى هذه المشكلة التى تهدد دورة الحياة فى البحيرة ، ويجب دوام تطهير المجرى الملاحي داخل البوغاز لأن ظهور الارسابات أمام الشاطئ مع استمرار ظاهرة المد والجزر ستعمل دائما على ردم البوغاز ، كما يجب سرعة اتمام مشروعات حماية البوغاز .

أما بالنسبة للصيد من البحر المتوسط ٠٠ فهو - عامة - يأتي بعم البحيرات من حيث جملة المحصول السمكى سنويا ، ويساهم فى المتوسط بأقل من ٣٠ ألف طن سنويا ، أى نحو نصف ما تساهم به البحيرات ، وتعد دمياط وجمصة والصفارة وبرج البرلس ورشيد ٠٠ أهم مراكز الصيد على طول ساحله بين فرعى الدلتا ، وانحدار الشاطئ أمام الساحل بطيء ( ١ : ١٠٠٠ ) ، لا يسمح بالصيد بالقرب منه الا بوسائل بدائية ، ولا بد للتوغل فى المياه العميقة من ازدياد كفاءة أدوات الصيد ، ونظرا لعدم وجود مرفأ صالح لسفن الصيد فى البحر ، فهى تخزن ثلثى السنة فى دمياط أو رشيد أو بور سعيد ، وقد انتقلت بعض أسر الصيادين الى المدن الأخيرة .

كما تعد النوات التي تتعرض لها المنطقة من مشاكل الصيد الرئيسية بها خاصة فى فصل الشتاء ، وتتعرض لنحو ٦ نوات ، تبدأ بنوة قاسم فى بداية ديسمبر ، وتساعد صنفى ، « طوبار ، بورى » على الخروج من البحيرة الى البحر للتوالد لأنه أملح وأدفأ ، وبعدها نوة المطرية فى أول يناير ، ويخرج باقى السمك للبحر ، وتستمر نحو ٥ أيام ، ثم نوة العصى فى نهاية يناير وتستمر ٣ أيام ، وبعدها رياح ثقيلة تعرف بالسواق فى منتصف فبراير، ثم نوة الغطاس ، وأخيرا نوة عوة آخر النوات .

### العزبة :

عند دراسة خرائط مصر فى بداية القرن ١٩ ، يلاحظ عدم وجود لفظة عزبة « كلية » ، فقد انتشرت منذ عهد محمد على كظاهرة سكنية اقتصادية مرتبطة بالتطورات السياسية والعمرانية التي تعرضت لها مصر منذ ذلك الحين ، ظهرت فى الدلتا أولا ٠٠ ثم فى الوادى ، وتعد الآن أوسع اشكال السكن انتشارا فى شمال الدلتا ، حيث تتوزع فى أنحاء المنطقة باستمرار جغرافى له دلالاته الاقليمية سواء من حيث العدد أو الحجم ، وهى تكشف كظاهرة سكنية ٠٠ عن عدد من الحقائق المتصلة بتعمير المنطقة ، وتغيرات خريطتها الادارية ، وزيادة المساحة المزروعة على حساب البائرة ، واذا كانت العزبة - كمركز سكنى - لا تختلف فى مظهرها العمرانى أو مواقع كتلتها السكنية عن معظم قرى المنطقة ، بل هى قد تنمو من حيث الحجم لتتداخل مع الأحجام الدنيا لقرى المنطقة ، الا انها غالبا ما تفتقر الى الخدمات الضرورية المتوفرة فى الأخيرة ، فهى « التوابع » اداريا التى تتجه الى القرية - مقر العمودية ٠ تستمد منها خدماتها التعليمية والصحية وغيرها ٠٠ اذا ما توافرت فى القرية ، واذا كانت حرفة سكانها الأساسية هى الزراعة مثل معظم قرى المنطقة ، الا أن لبعضها وظائف معينة أنشئت خصيصا لتقوم بها ، خاصة فى مجال استصلاح الأراضي البائرة .

- ورغم ارتباط « العزبة » كنمط سكنى وأسلوب للاستغلال الزراعى ٠٠ بدخول الدلتا مرحلة تعميرية جديدة منذ بداية القرن ١٩ ، الا أن من يراجع أخبار القرية المصرية وسجلات تواريخها المختلفة وكشوف الحصر والضرائب وغيرها منذ العصر الفاطمى ، تستوقفه الاشارات المتناثرة خلالها عن « توابع » بعض القرى الكبيرة ، ولكنها قليلة نسبيا بصفة عامة ، كما انها لا تعكس شكلا خاصا من اشكال الملكية ، فهى

عبارة عن مراكز سكن صغيرة موزعة داخل الزمام لخدمته ، تتبع حاليا - أى فى كشوف الضرائب - القرى الكبيرة المجاورة ، والواقع أن العزبة قد انتشرت كظاهرة فى الدلتا ٠٠ وعلى الأخص فى شمالها وبراياها ، لأسباب تتصل بمجموعة القوانين التى كرسى « الملكية الزراعية » فى عهد محمد على ومن خلفه - خاصة - من ناحية ، ثم مع النمو السكانى فى الدلتا بمعدلات عالية خلال القرنين ١٩ ، ٢٠ وما ارتبط بذلك من نشاط عمليات استصلاح الأراضى البائرة منذ ذلك الحين ٠٠ فأصبحت العزبة تمثل الشكل السكنى المتاح لاستيعاب هذه الزيادة وهذا النشاط من ناحية ثانية .

- فمنا العصور التاريخية وخلالها عامة ٠٠ كانت أرض مصر - نظريا بشكل دائم وفعليا فى معظم الأحيان - ملكا لحاكم مصر ، لقد تمتعت بعض الفئات القرية من الحاكم بحقوق شبه اقطاعية خلال هذا التاريخ الطويل ، كما ظهرت حالات من الملكية الخاصة فى فترات قصيرة ، كما طبقت بعض القوانين الخاصة بحق الملكية والتصرف فى الأرض الزراعية ، ولكن الصورة المستمرة هى أن حاكم مصر - فردا أو دولة - هو مالك أراضيها ، أما الفلاحون فهم حائزو الأرض ٠٠ هم زارعوها وليسوا مالكيها ، بمعنى أن يكونوا مالكين لحق الانتفاع بها ٠٠ وحق التصرف فيها ، وظلت هكذا دون تغيرات جوهرية حتى عهد محمد على ، فلقد ورث الأخير نظاما مركبا للملكية الزراعية ، قوامه حقوق الالتزام والأوقاف ، أما حقوق الالتزام ٠٠ فتعبر عن انتقال ملكية الدولة المباشرة للأرض الى طبقة من الملتزمين ، وهى طبقة اقطاعية فى الواقع ٠٠ أدارت الريف لحسابها ، مع دفع مستحقات الحكومة على شكل ضرائب (الميرى) ، وتقسمت الأرض الزراعية - آنذاك - بين عدد من الملتزمين الاقطاعيين .

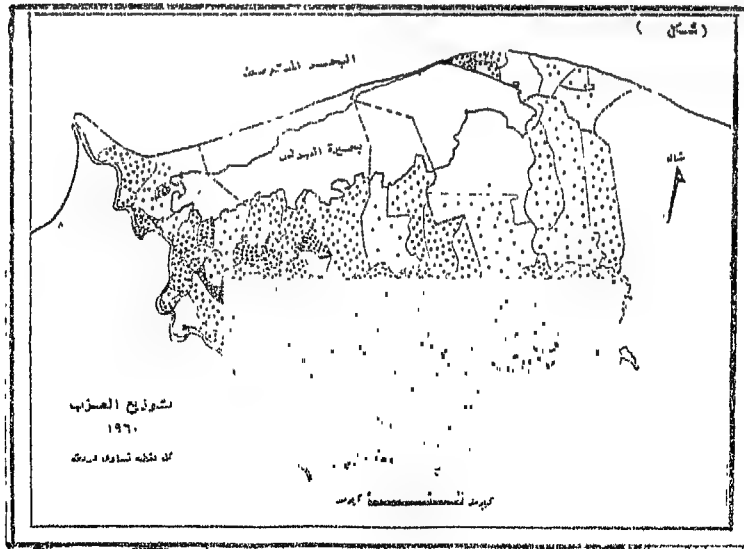
ولقد بدأت حقوق الالتزام تدريجيا منذ العصر الفاطمى ٠٠ وازدهرت فيما تلا ذلك من عصور ايوبية مملوكة عثمانلية ، حيث أصبح الملتزم اقطاعيا بمعنى الكلمة ٠٠ يملك الأرض والفلاحين والحامية ، كما يورث اقطاعه لأبنائه من بعده ، أما حقوق الأوقاف ٠٠ فهى حقوق ترتبت عن اتجاه بعض أفراد هذه الطبقة ٠٠ لوقف نسبة من الأراضى ٠٠ تخصص للانفاق على وجوه دينية غالبا ، ثم تدعى هذا الاطار الشكلى بعد ذلك ، ليصبح الوقف وسيلة للتهرب من دفع ضرائب الالتزام ، لأن الدولة أو الحكومة المركزية ٠٠ كانت تعفى أراضى الأوقاف من التزاماتها الضريبية أو من الميرى ٠٠ وعندما وجه محمد على ضربه لنظام الالتزام وأوقافه ٠٠ انما كان يقضى فى الواقع على طبقة شبه اقطاعية متمركزة فى

الريف تاريخيا وتملك قدرة اقتصادية كبيرة ، كما كان يحد من التهرب الضريبي عن طريق الوقف ، ولقد أتم خطته على مراحل ٠٠ تبلورت منذ ١٨٠٨ بمصادرته أراضي الالتزام التي تدهورت انتاجيتها على الأراضي السائبة التي لا يحوز اقطاعيوها وثائق ملكيتها ، ثم بفرضه نظام الضرائب المباشرة التي يدفعها الفلاحون مباشرة الى ممثلي الحكومة ٠٠ وليس الى الملتزمين ، وبشكل عام ٠٠ يمكن القول أن نظام الالتزام ٠٠ قد انتهى من الدلتا بعد أقل من خمسة عشر سنة من تولي محمد علي حكم مصر (١٨١٤) ، ولن نفرض في تتبع أوجه المقاومة التي واجهها محمد علي من الطبقة التاريخية المستغلة ، فالهم هنا الاشارة الى أن الوالي في الواقع ٠٠ قد نقل الملكية من هذه الطبقة الاقطاعية ٠٠ الى طبقة أخرى ناشئة قوامها أسرته وأعوانه وقواد جيوشه وكبار رجالات دولته ، غير انه لم يستطع الاقتراب مباشرة من أراضي الأوقاف ، وتم تسجيل ( أراضي مصر ) في مجموعة متتالية من « تاريخات » الزراعة ٠٠ خلال عهده ، وقد بدأ « الوالي » بتوزيع الأراضي البائرة في شمال الدلتا منذ سنة ١٨٣٠ على وجه التقريب ، على شكل عرف باسم « الأبعاديات » توزع في صورة هبات ومنح لكبار خدامه ، وهي هبات ومنح ٠٠ مثلت البداية التاريخية لنظام الاقطاع في هذه المنطقة ، سرعان ما ساندتها القوانين التي منحتها حق التصرف والتوريث ٠٠ الى جانب حق الانتفاع .

— والواقع أن تطور نظام الملكية الزراعية ٠٠ قد اتجه بعد ذلك في عهد خلفاء محمد علي — وخاصة سعيد واسماعيل — في مسارين رئيسيين ٠٠ انعكست آثار كليهما في خريطة شمال الدلتا الاقتصادية والعمرانية ، يشمل **الأول** ٠٠ في « الأبعاديات » وهي اقطاعات كبار الملاك كما سبقت الاشارة ، أما **الثاني** ٠٠ فهو اعطاء نسبة بين ٤ — ٥٪ من زمام كل قرية ، الى مشايخها عرفت بمسموح المشايخ أو المصطبة ، وتوزيع الأراضي المتبقية على الفلاحين ، منحهم حق الانتفاع بها مع دفع ضرائبها ، وعرفت « بأراضي الأثر » ، هي تسمية تاريخية ، مع اقرار حقوق الملكية الزراعية الكاملة ٠٠ لأصحاب الأبعاديات وأصحاب « أراضي الأثر » في اللائحة الزراعية السعيدية ( ٥ أغسطس ١٨٥٨ ) ، وهي الحقوق التي كرست الملكية الزراعية انتفاعا وتصرفا ، ويمكن القول ان مجموعة هامة من النتائج الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية قد بدأت تأخذ طريقها وتشق مجاريها في تربة الزراعة المصرية ، ومهما يكن من أمر التفاوت الخطير في الوضع الاجتماعي العام في الريف ، أو من أمر المزايا التي نالتها الأبعاديات ضريبيا ، والأعباء التي تحملها صغار الملاك آنذاك ،

فانه يمكن القول ٠٠ أن مرحلة تعميرية جديدة قد بدأت في الأجزاء الشمالية من الدلتا ٠٠ أما تحت دوافع رفع الكفاية الانتاجية لأراضى الأبعاديات البائرة ، أو تحت دوافع صغار الملاك من الاستفادة من نص وضع اليد فى اللائحة ، والذي يقر حق الملكية لمن يضع يده على الأرض لمدة خمسة أعوام مع انتظامه فى دفع الضرائب ، كانت هذه دوافع هامة لحركات السكان فى الدلتا عموما وفى شمالها خاصة ، خاصة وأن مجموعة القوانين الزراعية الاسماعيلية - لأسباب مختلفة عامة وتفصيلية - قد حولت معظم الأراضى الزراعية نحو الملكية الخاصة بشكل نهائى بالنسبة للتحولات التى بدأها محمد على فى بداية القرن ، ولا شك أن التحولات هذه قد حملت فى أحشائها تناقضاتها الهامة اجتماعيا واقتصاديا ، والتى انعكست فى تاريخ مصر الاقتصادى السياسى منذ ذلك الحين ، غير انها منلت دوافع حركة تاريخية لا شك فيها .

- وبدراسة خريطة توزيع العزب فى المنطقة ( شكل ٨ ) ، يلاحظ أن عدد العزب يتزايد باستمرار فى مراكزها الادارية الشمالية ، ويعبر عن ذلك تزايد متوسط ( عدد العزب / قرية ) فى نفس الاتجاه ، بل



انه الى الشمال من خط كونتور ١٥٠م يوجد نطاق تسوده العزبة كظاهرة سكنية وحيدة دون قرية واحدة ، وبغض النظر عن الحدود الادارية ، فان عدد العزب يتزايد تدريجيا في الاتجاه الشمالى عموما ، الا انها تتناقص تدريجيا بعد ذلك ، الى الشمال من نطاق الأراضى الحديثة الاستزراع ، حيث يسود نطاق السكن المبعثر .

ونادرا ما توجد قرية في هذا النطاق الشمالى من الدلتا دون توابع، ويعنى ذلك أن العزبة ظاهرة سكنية مستمرة ، لا تتضح سمات توزيعها الاقليمية بمجرد تحليل هذا التوزيع مكانيا ، وتجدر متابعتها من حيث عدد سكانها ونسبة ما تستوعبه من سكان نواحي المنطقة ، وعامة ١٠٠ فان صورة السكن تتغير تدريجيا في الاتجاه الشمالى ، بحيث يلاحظ أن نمط القرية المتجمعة دون توابع أو محدودة التوابع ، تتغير في نفس الاتجاه الى القرية المتجمعة وحولها عدد متزايد من التوابع ، ثم تصبح العزبة وحدها هي نمط السكن السائد في الأجزاء الشمالية من المنطقة .

١ - وتمثل عدد القرى التى يتراوح عدد توابعها بين ١ - ٥ عزبة ، نحو ٣٥٪ من جملة قرى المنطقة (١٩٦٠) ، وتتمثل في الأجزاء من المنطقة المحصورة بين كونتورى ٥ - ٣م أى الأجزاء الجنوبية ، والتوابع هنا لا تستوعب عامة الا أقل من ٢٥٪ من جملة سكان الناحية ، أما عدد القرى التى يتراوح عدد توابعها بين ٦ - ٢٠ عزبة فتمثل نحو ٥٠٪ من جملة قرى المنطقة ، وهى تسود بين كونتورى ٣ - ٢م ، حيث تستوعب التوابع ٢٥ - ٥٠٪ من جملة سكان الناحية ، فى ذلك النطاق الذى يتميز باختلاط القرى القديمة مع تلك الحديثة النامية غالبا من عزب ، أى أن القرى كانت عزبا ٠٠ ثم تحولت الى قرى تبعا لمجموعة من القرارات الادارية المتوالية ، أما القرى التى يتراوح عدد توابعها بين ٢١ - ٤٠ عزبة ٠٠ فتمثل نحو ١٥٪ من قرى المنطقة ، حيث تستوعب العزب بين ٥٠ - ٧٥٪ من جملة سكان الناحية .

٢ - وتوضح دراسة العزبة فى المنطقة من حيث عدد سكانها ٠٠ ان بعضها قد نما سكانيا لأسباب متعددة ، بحيث تداخلت مع فئات الأحجام الدنيا من القرى ، وتتهيا بعض العزب للتحويل الى مالية وادارية ، فى أحد المؤشرات الهامة فى توضيح احتمالات التغيير الإدارى فى المنطقة ، ومتوسط عدد سكان العزبة فى المنطقة ٢٠٠ نسمة ، وهى قد تنقص عن ذلك حتى لا تتجاوز أحادا من السكان ، وقد تتعاظم حتى تزيد عن ١٠٠٠ نسمة ، وذلك تبعا لتاريخ انشاء العزبة وخصائص اقليمها السكانية ،

وهنا تجدر الإشارة الى حقيقة هامة تتصل بالتفرقة بين ما يعد قرية وما يعتبر عزبة ، انها فى البداية تفرقة ادارية أساسا ، ربما يكون لها ما يبررها أحيانا من حيث عدد سكان المركز السكنى ، ففي محافظة كفر الشيخ نجد أن متوسط عدد السكان للقرية بها ٢٢١٦ نسمة ، بينما لا يزيد متوسط عدد سكان العزبة عن ١٩١ نسمة ( ١٩٦٠ ) والعزبة قد تتواضع حتى لا تعدو ان تكون بضعة دور وسط الحقول ، وتتدانى القرية مطلقا الى هذا الحد ، كما أن القرية - عادة - ما تشتمل على بعض الخدمات الأساسية ( والمدرسة الابتدائية ، الوحدة الصحية ، الجمعية الزراعية وغيرها ٠٠٠ ) وهى تقدم خدماتها لها ولتوابعها ، وهذه وغيرها قد تميز القرية فى المنطقة عن العزبة ، الا أن هناك منطقة تداخل تصبح فيها هذه التفرقة عسيرة الا من الناحية الادارية ، فهناك مثلا ٥١ قرية فى المحافظة تقل عن المتوسط المذكور سكانيا بحد أدنى ٤٤٧ نسمة ، كما أن هناك ٦٨ عزبة بها يزيد عدد سكانها عن ٨٠٠ نسمة (١٩٦٠) ، ومن ناحية أخرى فان هناك نسبة هامة من العزب تحتوى بعض الخدمات الأساسية السابق ذكرها ٠٠٠ خاصة المدرسة الابتدائية ، واذا أضيف الى ذلك تشابه النمط الحضارى الريفى بعامة فى المنطقة ، يتضح أن القرار الادارى - خاصة فى منطقة التداخل - يمثل المستوى الواضح المؤكد للتفرقة بين سلكى السكن الريفى الرئيسيين فى المنطقة ٠٠ القرية والعزبة ، وبغض النظر - مؤقتا - عن هذا المستوى ، وكذلك عن التفاوت بين القرية والعزبة من حيث عدد السكان ، يمكن اعتبار العزبة فى حد ذاتها النواة الأساسية لظهور القرية فى المنطقة ، وذلك لتشابه الوظيفة الزراعية بينها وما تفاوت عدد السكان الا مرحليا ، وكذلك فان المستوى الادارى يصبح مؤقتا وقابلا للتغيير .

## مدن البرارى :

- تعد الحاجة لمركز خدمة أقليمى من أسباب تميز وظهور بعض المراكز السكنية ، بل هى وراء ظهور المدينة الإقليمية غالبا ، وذلك بما يترتب على وجودها من جاذبية للخدمات ، فالخدمات لا يمكن أن تتناثر فى الريف عشوائيا ، والمرجح أن المركز الاقليمى - بداية - يستمد أهميته من موقع متميز بين مجموعة سكنية ، بحيث قد يؤدى ذلك الى ظهور سوق أكبر من محلى ، وما يتبع ذلك بالضرورة من تداعيات اقتصادية سكانية .

- لقد نمت معظم المدن الدلتاوية - على مراحل بطيئة - من قرية أو عزبة أو مجموعة من العزب ، وتضافرت عوامل عديدة أدت الى ظهورها

بالذات دون غيرها من مراكز السكن الريفية التي يزخر بها الأقليم ، ،  
 ويعد « السوق » من أهم هذه العوامل . . فهو جرثومة المدينة الدلتاوية ،  
 ومن بين عديد من الأسواق المحلية . . يحظى بعضها بشهرة خاصة تتعدد  
 أسبابها ، والارجح أن توسط الموقع وسهولة المواصلات من أهم هذه  
 الأسباب ، كما قد نجد في أقدم التجمعات حول ضريح قديم مبارك . .  
 بداية سلسلة من النمو المدينى المتعاقب ، لقد دعمت الاسواق المحلية  
 اهميتها برعاية ولى مشهور ، وهكذا يتبين أن المدينة قبل أن تصبح مقرا  
 للاقامة الثابتة لاعداد أكبر من قرية عادية ، بدأت بأن كانت مقرا للاجتماع  
 يختلف اليه الناس من حين الى آخر ، وقدرة المدينة على اجتذاب الناس . .  
 وانعاش معنوياتهم ، مازالت معيارا - لا يقل شأنًا عن التجارة - فى تقدير  
 قيمة المدينة وشاهدا على ما تنطوى عليه من طاقة وحيوية ، وليس من  
 الغريب - اذن - أن يكون أولياء « المدن » هم أكثر أولياء الدلتا شهرة  
 وجاذبية - ثم هناك - ثلثنا - اختيار هذه المراكز السكنية المتميزة بحكم  
 شهرتها وموقعها وحجمها ، لتصبح من محطات الخطوط الحديدية التي  
 مدت خلال الدلتا منذ نهاية القرن الماضى ، وتزايدت أهمية هذه الخطوط  
 . . وكانت من أسباب جذب التجارة وتوسيع دائرة نفوذ أسواق هذه  
 المحطات ، ومكنت من نقل كميات أكبر من السلع وأكثر تنوعا ، واتسع  
 وقت الاقامة فى الاسواق ، فضلا عن الأمان فى الذهاب والاياب .

- والواقع أن العناصر القديمة التى تكونت منها القرية الدلتاوية ،  
 نغلب أو أدمجت فى الوحدة الحضرية الجديدة . . « المدينة » ، وتحت  
 تأثير عوامل حديثة فى الدلتا . . أصبح تكوين مدنها على نسق أكثر  
 تعقيدا وأقل ثباتا مما كانت عليه فى القرية القديمة ، وحقق هذا الخلط  
 الحضارى نجاحا أكبر فى تجنيد اليد العاملة فى نواحى نشاط متنوعة  
 غير الزراعة . . النشاط الوحيد للقرية ، كما ساهمت وسائل المواصلات  
 فى عملية نقل حضارى واسعة . . ساهمت فى النمو المدينى  
 الدلتاوى .

- لقد كانت القرية وعاء لوظائف أضيق نطاقا ومهام أشد التصاقا  
 بالأغراض الأولية للحياة ، وماتزال الحرف الريفية وتقاليدها تؤلف جزءا  
 من الحياة اليومية فى المدينة الدلتاوية ، غير أن تعدد وجوه النشاط  
 بعد ذلك وتقسيم الناس الى طبقات وفقا للمهن والطوائف ، أن تكون  
 منهم فى المدينة ما يشبه هرما حضاريا ، ولقد كان من جراء نشوء وظائف  
 اقتصادية ومهام اجتماعية لكل طبقة على حدة ، أنها بدورها أنشأت  
 ما يقابلها من مناطق فى المدينة ، كما أنها أدخلت على مبانيها من ضروب



التميز ما أكسبها أتمكالا . . كان يسهل التعرف عليها فى كل مرحلة تالية ، ولقد كان التجار . . ومن ورائهم أرباب المهن والحرفيين يمثلون — وما يزالون — أساس حياة المدينة اقتصاديا واجتماعيا ، بالإضافة إلى الزراع القدماء والموظفين المحدثين والمؤقتين .

— ونلخص هيراركية أحجام المدن الدلتاوية . . الكبير من الحقائق الاقليمية ، فهى نتاج عوامل طبيعية وحضارية شتى ، ولم تكن مدن شمال الدلتا بعيدة من تأثيراتها ، فهى مدن دلتاوية أساسا طبيعيا وحضاريا ، مع ما تمنحه لها ظروف المنطقة من سمات تفصيلية تتصل بمواقعها وتباعدها وأحجامها .

وتتخذ شبكة المدن الدلتاوية شكلا هرميا قوامه قاعدة عريضة من المدن الصغيرة ، نعلوها فئات المدن الأكبر حجما ، التى يتناقص عددها تدريجيا مع زيادة الحجم .

— وحسب تعداد ١٩٦٠ السكانى . . يتضح أن المحافظات الدلتاوية تشمل ٦٢ مدينة ، منها ٦ مدن أكثر من ١٠٠ ألف نسمة ، ٧ مدن بين ٤٠ — ١٠٠ ألف نسمة ، ٢٠ مدينة بين ٢٠ — ٤٠ ألف نسمة ، ٢٩ مدينة أقل من ٢٠ ألف نسمة ، وبدراسة التعدادات السابقة عن التعداد المذكور ، يتبين أن المدينة الدلتاوية تنمو تدريجيا لتدخل فى فئات حجم أكبر ، كما يتبين أن الاتجاه هو نحو التركيز فى مدن كبيرة . أكثر منه التوزع بين عدد كبير من المدن الصغيرة ، وببساطة يمكن اكتشاف أن شبكة المدن الدلتاوية ليست ثابتة ، بل هى متغيرة مع تغير الظروف الحضارية الاقليمية .

— والواقع أنه يصعب تفسير ظاهرة المدن عامة بمعزل عن الظروف الحضارية الاقليمية والتأثيرات . . أن الزراعة تمثل نسيج اقتصاديات الاقليم ، معها ظهرت القرية مع ارتفاع غلة الفدان وظهور الفائض ، وبرزت للاقليم أهداف أخرى غير مجرد البقاء ، وتحررت نسبة من الأيدى الزراعية من العمل الزراعى ، ويمكن القول — عامة — أن حجم المدينة . . يعكس الوضع الاقتصادى السكانى الاقليمى ، فمن شأن النمو الاقتصادى أن يؤدى الى نقص عدد المدن الصغيرة التى تقدم الضروريات .

— وليس توزيع المدن فى الدلتا عشوائيا . . أو بالصدفة أو بلا دلالة فالمدن لا تظهر من تلقاء نفسها ولا تنمو بذاتها ، والأغلب أن محاور توزع المدن فى الدلتا والخطوط التى تنتظمها ، تمثل رد فعل حضارى مركب لجملة من العوامل الطبيعية الأولية خلالها ، ويمتد آخر خطوط التوزع

والظهور المدنى بها سَمَلا ٠٠ على شكل قوس ، تمثل مدينتنا « فوه » ( فرع رشيد ) وشربين ( فرع دمياط ) طرِقاء ، مرورا بمدن « دسوق » ، قلين ، كفر الشيخ ، بيلا ، بلقاس ، كفر سعد ، ولا يوجد شمالى هذا القوس سوى مدينتين ، الاولى قديمة « بلطيم » عاصمة البرلس ٠٠ وهو اقليم متميز بظروفه الطبيعية البشرية الخاصة ، والثانية حديثة « سيدى سالم » لم تظهر أرقامها الا فى تعداد ١٩٦٠ السكانى ، ومن وجهة نظر ديناميكية النمو المدنى الدلتاوى ٠٠ يمكن اعتبار « سيدى سالم » باكورة ظهور خط مدنى جديد يقع الى الشمال من القوس المذكور ، وتمثل مجموعة المدن هذه ٠٠ بالاضافة الى الخط المدنى المحتمل ظهوره الى شمالها ٠٠ كوكبة مدن ( البرارى ) شمال الدلتا بين فرعيها .

### أ - قوس المدن القديم :

- ويعكس القوس المدنى الجنوبى - خاصة من ناحية الحجم - مرحلة النمو الاقتصادى فى هذا الجزء من الدلتا ، وجميعها ( ١٩٦٠ ) ٠٠ تقع فى الفئة الحجمية بين ٢٠ - ٤٠ ألف نسمة ، هى قرى قديمة ، ظهرت مدنيا تباعا منذ القرن الماضى ، ظهرت أولا مدن « كفر الشيخ ، دسوق ، فوه ، بلطيم ، شربين ، بلقاس » قبل نهاية القرن ١٩ كعواضم ادارية ، وتأخر الأمر بمدينة بيلا الى ١٩٣٨ ، وبمدينة قلين الى ١٩٤٦ ، ويتفاوت ترتيب هذه المدن من حيث الحجم بين مدن الدلتا ، ولكن جميعها قد نمت بمعدلات عالية بين ٢٧ - ١٩٦٠ ، وتوضح الدراسات ٠٠ أن معدلات النمو بها تزيد عن معدلات الزيادة الطبيعية للسكان ، ومعنى هذا أنها تشهد تيارات هجرة اليها ، بالاضافة الى زيادة عدد الموظفين مع تكتيف خدماتها الادارية ، خاصة مدن « كفر الشيخ ، دسوق قلين ، شربين » ، أما مدينتى « بيلا وبلقاس » ٠٠ فقد تعرضتا لتيار هجرة عكسى ربما بسبب وقوعها فى منطقة الظل بالنسبة لنفوذ مدينتى المنصورة والمحلة الكبرى القريبتين ، ورغم قرب مدينة كفر الشيخ من مدينة طنطا ( ٤٠ كم ) ، ومدينة دسوق من مدينة دمنهور ( ٢٢ كم ) الا أن الارتباط الوثيق بين كفر الشيخ ودسوق واقليميهما الزراعيين ، ويسر المواصلات بين المدن الأربعة ٠ قد أدت الى نتائج ايجابية بالنسبة لنموهما المدنى ، وخففت من تأثير مدينتى طنطا ودمنهور .

لقد كانت مدينة فوه أولى مدن شمال الدلتا ظهورا ، وتاريخها يؤكد صفة الموقع النسبية ، وارتباطه بظروف حضارية متغيرة بطبيعتها ، واذا كانت مدن المنطقة قد تحولت من أصولها القروية تباعا الى عواصم

اقليلية منذ القرن ١٩ ، فان « فوة » نعد مدينة فرعونية ، وردت كمقر  
 لكرسى فوه فى كشف اسقفيات مصر القبطية ، نمت تدريجيا حتى  
 أصبحت من أكبر مدن مصر فى العصور الوسطى ، ويذكر الرحالة  
 الفرنسى Belon الذى زار مصر فى سنة ١٥٣٠ ( ٠٠ أنه لم يكن فى  
 مصر مدينة أكبر من فوه سوى القاهرة ٠٠ ) وفى الخطط التوفيقية  
 ( ٠٠٠ كانت هذه المدينة فى الأعصر الحالية على غاية من العمارة  
 والروية ٠٠ ) ولعلنا ورت فى ذلك الاسكندرية ورشيد معا ، ولكن منذ  
 أواخر القرن ١٨ ، كانت فوة قد بدأت فى الانحدار ، ويصف على مبارك  
 الخراب الذى أصاب فوة - بفلم العالم الفرنسى « سوارى ، الذى ساج  
 مصر سنة ١٧٧٧ م - وقد رأى الأخير أغلب حارات المدينة معطلة عن  
 الحركة ، وتهدم أكثر مبانيها وحصل الخراب فى مساجدها ، ولم يكن  
 بها اذ ذلك غير قليل من السكان ويفسر على مبارك أسباب التدهور  
 ( ٠٠٠ ثم ان البحر المالح ، أخذ فى البعد عن فوه بسبب رسوب الطمي  
 هناك حتى صار بعده عنها ( ١٧٧٧ م ) نحو تسع فراسخ ، وهى  
 المسافة التى اتسعت بها أرض مصر ، منذ وقت فرعون بسماطيك ٠٠٠ ،  
 ثم لما أهمل خليج الاسكندرية ، وكثر طميه ، تعطل سير السفن ونحوت  
 النجارة عنه ، وصارت تتبع فرع رشيد وتصل الى الاسكندرية من  
 المالح ، فكان ذلك سببا فى ثروة رشيد وعمارته وتقهقرت مدينة  
 فوه ( ٠٠٠ ) ويختم حديثه عنها ( ٠٠٠ ولم تزل تتقلب فى الأحوال  
 والحوادث ، وفى وقتنا هذا ٠٠ هى عامرة جيدة البناء ٠٠ ) .

- وبالفعل ٠٠ فان فوه ، كانت حتى نهاية القرن ١٩ ، ما تزال أكبر  
 مدينة اقليلية فى شمال الدلتا بين فرعيها ، ولكنها بدأت تتراجع عن  
 مركزها هذا تدريجيا ، لأسباب تعد استمرارا لتلك التى وضع على  
 مبارك يده عليها ، ولعلها كامنة منذ البداية فى طبيعة موقعها كمدينة  
 ظهرت ونمت دون الارتباط وظيفيا باقليمها ، لقد استفادت من ميزات  
 موقعها واتصالها السهل بغرب الدلتا والاسكندرية وذلك فى تنمية  
 تجارتها وصناعاتها خاصة الصوف ، فلم يكن اقليمها البائر - فى  
 معظمه - يمكنه ان يمددها بأسباب ازدهارها القديم ، وكان ردم ترعة  
 الاسكندرية بمثابة قطع شريان اتصالها الرئيسى بالخارج ، اذ أنها  
 كانت - وما تزال - ضعيفة الاتصال بظهيرها ، بسبب موقعها عند ثنية  
 النهر من ناحية ، وعدم اعتمادها عليه أساسا من ناحية ، وفى نفس  
 الوقت ، فان تغير الخريطة الاقتصادية لشمال الدلتا منذ نهاية القرن  
 ١٩ ونموه العمرانى ، قد أدى الى تغيير الخريطة السكانية للاقليم ، وتكاثر  
 سكنه تدريجيا وظهرت مراكز خدمته المرتبطة به وظيفيا ، على أن نمو

مدينة دسوق جنوبا ( ٢٥ كم ) وقرية مطوبس شمالا ( ٢٥ كم ) ، وكلاهما يقع على فرع رشيد ، كان أشد العوامل تأثيرا بالنسبة لمدينة فوه ، فقد كان موقعهما أكثر استجابة لعوامل التغيير فى المنطقة ومتطلبات نموها ، فقد كان موقع فوه هامشيا ومتطرفا بالنسبة لمناطق الاستصلاح الحديثة ، وأصبحت مطوبس - خاصة بعد مد الخط الحديدى الاسكندرية / رشيد / البوصيلى / مطوبس / أبو غنيمة وإنشاء كوبرى مطوبس أمامها على فرع رشيد ، نافذة للاقليم الشمالى النامى الى غرب الدلتا فالاسكندرية ، وأصبح الخط الحديدى والكوبرى بمثابة سهم فى عمق الاقليم النامى ، يشير الى طريق تصريف فائضه ، كما أصبح الخط الحديدى طنطا / قلمين / دسوق / دمنهور / الاسكندرية ، وطرقه البرية المرصوفة الموازية ، وطريق كفر الشيخ / دسوق المرصوف ، بمثابة سهم آخر فى قلب الاقليم الراسخ ، يشير الى طريق تصريف انتاجه ، وحوصرت فوه فى موقعها المغلق ، خاصة مع مجاورتها من الغرب لأفقر مراكز البحيرة انتاجا وسكانا وتقوقعت داخل ثنية النهر ، وأصبحت رابعة مدن المحافظة من حيث الحجم .

— أما بالنسبة لمدينة دسوق ، فقد لا يكون موقعها على فرع رشيد متميزا عن بعض مراكزه السكنية الأخرى من وجهة النظر الطبيعية ، ولا شك أن الموقع النهري يمنح وسيلة اتصال رخيصة قد تنعش المركز السكنى وتوسع من اقليمه وقد تؤدي الى نمو حجمه ، مع ما يمنحه هذا النمو — غالبا — من مزايا ادارية وتجارية ، ولكن هذا كله قد يهوى لقرية متميزة بأكثر مما يدعو لمدينة نامية ، ويظهر دور الظروف الحضارية للاقليم وعلاقاته النسبية داخله وخارجه ، وشبكة مواصلاته ، وغير ذلك من العوامل ، يظهر فى صالحي أحده هذه المراكز بدرجة أكبر من غيره ، لقد ظل موقع دسوق محدود الأهمية نسبيا حتى تجمعت ظروف المنطقة المتغيرة لصالحها ، واختزلت دسوق أهمية قرية محلة أبو على جنوبها ( ٦ كم ) على فرع رشيد ، ومدينة فوة شمالها دفعة واحدة ، وقرية « محلة أبو على » هذه واحدة من أقدم مراكز السكن على فرع رشيد ، نمت منذ العصور الوسطى ، حتى جذبت تجار مدينة دسوق ذاتها ، وهى من مراكز الخدمة الهامة فى مركز دسوق ، ولها اقليم خدمتها المحدود ، غير أن نجاحها قد توقف عن صعوده عند هذا الحد ، لأسباب من داخل الاقليم وخارجه ، تؤثر فى العلاقة الحساسة بين مراكز السكن على فرع رشيد ، والمرجح أن نمو مدينة كفر الزيات جنوبها ( ٣٠ كم ) ، بمعدلات عالية سكانيا — تصاحب الصناعة عادة — بحيث قطعت الطريق على محلة أبو على جنوبا ، وأصبحت الأخيرة تقع فى ظلها ثم ظهور مدينة

بسيون شرقا ( ٢٠ كم ) واتصال الأخيرة بمدينة طنطا ( ٢٥ كم ) قد حرم محلة أبو على من ظهيرها الشرقى الراسخ ، ومن ناحية ثالثة فإن موقع محلة أبو على لم يكن مناسباً لتصريف فائض انتاج الأجزاء الشمالية النامية من المنطقة ، ولم تكن مواصلاتها ميسرة ، بمناطق الانتاج الغنية فى وسط الدلتا .

ولا تعنى هذه المناقشة ان محلة أبو على كانت تنافس دسوق سيادتها على اقليمها أو حتى تقاربها حجما فى أى وقت ، فقد حسمت هذه المنافسة منذ اختيار دسوق عاصمة اقليمية ١٨٤١ ، لأنها أكبر بلاد المنطقة ، ولكن الهدف هو توضيح أثر تغيرات الخريطة الاقتصادية والسكانية للأقليم على الأهمية النسبية للمراكز السكانية ، خاصة بالنسبة للمراكز المتكاثرة المواقع منها ، لقد كانت الظروف واحدة ، فى صالح دسوق ومطوبس ، وفى غير صالح قوة ومحلة أبو على نسبيا ، ولكنها أولا فى صالح الاقليم بأكمله .

ورغم ان دسوق ، كانت قد أصبحت أكبر مدن المنطقة منذ تعداد ١٩٣٧ ، الا انه عند انشاء مديرية القوادية ١٩٤٩ ، لم يقع عليها الاختيار لتصبح عاصمتها ، بل وقع الاختيار على مدينة كفر الشيخ التى كانت تقل عنها حجما ومدينة وإن كانت أقدم منها كعاصمة ادارية ، فلماذا ؟

موقع العاصمة ٠٠ مركزى أم هامشى ؟ هذا هو السؤال الذى طرحه « سور » ليكون بداية دراسة موقع العاصمة ، كما ان فكرة العاصمة الاقليمية قد نوقشت بواسطة الاقليميين الفرنسيين ، ويرى « لا بلاس » ان العاصمة الاقليمية أكبر من مجرد عدد السكان أو نشاطها الاقتصادى وتعددده ، بل هناك العامل الاقليمى الذى يتدخل فوق هذا لصالح مدينة دون اخرى .

هنا يتضح تأثير الموقع العام للمديرية الجديدة بين فرعى النيل ، فى منطقة من أوسع مناطق الدلتا ، لقد نمت المدينتان بمعدلات متقاربة منذ ١٩٢٧ ، فى منطقة عالية الانتاجية نسبيا ، واذا كانت دسوق تتصل بسهولة بغرب الدلتا والاسكندرية ٠٠ فان كفر الشيخ كانت أقرب الى شرقها وإلى طنطا ، وتميزت كفر الشيخ بموقعها الاقليمى المناسب للأجزاء المستصاحة حديثا شمالى المنطقة وكانت هذه الأجزاء قد بدأت تدخل دور نموها فوق الحدى ، ولم تعد طنطا العاصمة القديمة قادرة على الاشراف عليها اداريا بحكم المسافة ، بل ان كفر الشيخ كانت تشرف عليها بالفعل من زمن أبعد من انشاء المديرية الجديدة ، ورغم ان مدينة دسوق كانت

تشرف أيضا على مناطق واسعة من الأجزاء الحديثة الاستزراع ، الا أنها انكمشت جتوبا ، بعد انشاء مركز سيدى سالم ، ولم تعد بحكم موقعها المتطرف قادرة على الاشراف عليها .

— وبعد ذلك ، فلقد كانت « مدينة كفر الشيخ » ، تتوسط أيضا النطاق المعمور من قديم فى المنطقة جنوبى كونتور ٣٢ ، تكاد تتوسط المسافة بين مدينتى دسوق وبيلا ( ٦٣ كم ) بالإضافة الى موقعها من شبكة المدن الدلتاوية ، فهى على أبعاد متساوية ( ٤٠ كم ) من مدن طنطا ، المنصورة ، شربين ، ترتبط معها ومع المجلة الكبرى أيضا ، بمواصلات برية وحديدية جيدة ، وشاركت بذلك مدينة طنطا ، فى وصل وسط الدلتا وجنوبها بكل من شمالها الشرقى والغربى ، وقد حققت معدلات نمو عالية ، بحيث تحرك مركزها بين مدن الدلتا من المدينة رقم ٣٢ ( ١٩٢٧ ) الى المدينة رقم ١٥ من حيث الحجم ( ١٩٦٠ ) ، وهكذا تنازلت طنطا عن مهمتها المستحيلة وتراجعت دسوق بحكم الموقع — عن تطوعها لوظيفة العاصمة ، وتسلمت مدينة كفر الشيخ الراية من طنطا .

وتدرجيا — مرة أخرى — بدأ موقع كفر الشيخ يصبح — كما أصبح موقع طنطا من قبل — أكثر جنوبية وهامشية مع امتداد الزراعة شمالا ، وفقدت توسطها القديم ، وأصبحت تبعد أقل من ٧ كم عن حدود المحافظة الجنوبية ، وأكثر من ٣٥ كم عن حدودها الشمالية ولا يتوقع لمدينة كفر الشيخ أن تصبح فى حجم مدينة طنطا ، لاختلاف الظروف الحضرية بعامة ، خاصة وانها تقع فى ظل مدن وسط الدلتا الكبرى « المنصورة » طنطا ، المحلة الكبرى ، حتى تتمكن من الاشراف على شمال المحافظة ، وبالأخص مع معدلات نموه الحالية ، كما انها لا ترتبط معه بمواصلات ميسره ، ولذلك ففى مناطق غيابها كمركز للخدمات اقليمية ، ظهرت قرية الرياض ( ١٨ كم ) كمركز خدمة اقليمى ، ومدينة سيدى سالم ، ( ٣٠ كم ش . غ ) ، والأخيرة الابنة الشرعية للمناطق المستصلحة حديثا ، تلك المناطق التى لم يكن اشراف كفر الشيخ عليها فى الواقع الا من باب الضرورة ، أشرفت عليها فى بداية نموها ، ثم قصرت عن ذلك بعد تزايد عمرانها وظهور مراكز خدمتها ، وهكذا . . . تسلمت الحفيدة — سيدى سالم — الراية ، والمرجح أن تكون هى المدينة النهائية فى هذا الخط المدنى طنطا / كفر الشيخ / سيدى سالم ، فهى تبعد عن بحيرة البرلس بحوالى ٢٠ كم ، وهى مسافة مناسبة لكى تحكم أى عاصمة اقليمية قبضتها على انحاءها .

والمرجح ان ذلك لن يهدد وظيفة كفر الشيخ كعاصمة للمحافظة ،

اللهم الا اذا اتجه التفكير لانشاء محافظة شمالية جديدة ، تضم الأجزاء شمالي كونتور ٣م عامة . وهذا ما قد يحتاج الى حديث تفصيلي سوف ترد بعض جوانبه فى نهاية هذا الكتاب .

— اما مدينتنا « بيلا وقلين » ، فقد ظهرت اداريا فى فترة متقاربة وتختلفان اقليميا الى حد كبير ، فمدينة بيلا ، قاعدة ثانى مراكز الدلتا مساحة ، تتفاوت قدرته الانتاجية بين المتوسطة والضعيفة والباثرة ، وهى واحدة من كوكبة مدنية تشملها وشربين وبلقاس فى ذلك الجزء من الدلتا ، وهى ترتبط والمدن المجاورة بشبكة مواصلات برية وحديدية جيدة ، وهى بمثابة نافذة للمنطقة الى شرق الدلتا وبالاخص شمالها الشرقى ، وطريقها المرصوف الى باطيم ، هو شريان البرلس الى وسط الدلتا .

وقد نمت بيلا تدريجيا حتى أصبحت تحتل المرتبة الثالثة من حيث الحجم بين مدن المنطقة ، على ان موقعها على مسافات متقاربة من عدد من مدن الدلتا الكبرى ، خاصة المنصورة ( ٣٠ كم ج - ش ) والمحلة ( ٢٥ كم ج ) قد حدد من نموها نسبيا ، حتى انها تشهد تيار هجرة منها الى هذه المدن غالبا ، وهى تحتل المركز ٢٦ بين مدن الدلتا ( ١٩٦٠ ) ، وهى تشارك مدن المحافظة الجنوبية من حيث هامشية موقعها بالنسبة لريفها ، فهى تبعد عن حدود مركزها الجنوبية بأقل من ٥ كم ، بينما يترامى ريفها شمالا حتى ساحل البحيرة على بعد ٤٠ كم وهكذا فان قوتها كمدينة اقليمية مرتبطة ظهورا ونموا بالأجزاء من ريفها جنوبى كونتور ٣م ، وفى ظل غياب العاصمة ، ومع نمو الأجزاء الشمالية ظهرت « العا مول » على بعد ١٨ كم شمالا على نفس خط مطوبس وسيدي سالم والرياض ، وأصبحت العا مول مركز خدمة يبشر بنمو مؤثر .

— أما مدينة « قلين » ، فهى عاصمة منطقة عالية الانتاجية تنتمى لوسط الدلتا ، واحدة من مجموعة مدنية تشملها وبسيون وقطور ، ظهرت جميعها فى فترات متقاربة خلال الأربعينات ، وقلين قرية قديمة ولكن بلا تاريخ خاص ، كما انها ليست ذات تركيب معمارى متميز ولم تكن مقرا لولى مشهور ، وموقعها الاقليمى ميزتها الأولى ، هيا لها منذ زمن بعيد ، أن تكون مقرا لسوق محلى مشهور ؛ وان تنمو بمعدلات أكبر نسبيا من القرى المجاورة ، ودعم موقعها بين مدن طنطا وكفر الشيخ ودسوق من وظيفتها كعقدة لامواصلات الحديدية ، التى تعد أهم ميزاتهما ، فهى تربط بين مدن طنطا وكفر الشيخ وشربين من جهة ومدن طنطا ودسوق ودمهور ، وهى بذلك أهم محطة حديدية فى المنطقة .

وليست قلين في موقع مناسب بالنسبة لريفها ، فهي أقرب كثيرا لحدوده الجنوبية ، ولكن صغر مساحة المركز قد قلل نسبيا من عيوب موقعها ، وان كانت بعض قراها الشمالية الأقرب الى مدينتي كفر الشيخ ودسوق ، تتجه الى المدينتين الأخيرتين تجاريا وتطالب بضمها الى ايهما اداريا ، وفي نفس الوقت ٠٠ فان قلين هي أصغر مدن المحافظة حجما ، ولذلك فقوتها الاقليمية محدودة ، خاصة مع قربها من مدينة طنطا ( ٢٥ كم ) .

– يتبقى بعد ذلك « بلطيم » ، ضرورة مدينة لاقليمها المعزول ، المحصور كمثال بين ضلعي البحر والبحيرة ، لم ترتبط وظيفيا بتغيرات الخريطة الاقتصادية لشمال الدلتا ، وان كان تأثيرها بالنمو الاقليمي العام واضحا ، وقد هيأ لها موقعها الهامشي وتباعدها عن المدن المجاورة ، ان تقوم بوظيفتها الاقليمية دون منافسة من أى مدينة مجاورة ، يربطها الطريق المرصوف بلطيم / بيلا بالدلتا عامة وأهم مدنها خاصة ، والبحيرة وسيلتها الثانية الى مدينة سيدي سالم فالدلتا أيضا ، ورغم انها أصغر مدن الدلتا حجما – باستثناء قلين – الا انها تستوعب نحو ٣٠٪ من جملة سكان مركزها ، ويحد من قوتها الاقليمية – رغم موقعها المناسب لريفها – خلو مركز البرلس من الطرق المرصوفة بشكل شبه كامل ، فهي ترتبط مع قراها بمدقات ترابية ، يصعب اجتيازها شتاء ، وذلك باستثناء طريقها المرصوفين ( ٦ كم ) الى مصيف بلطيم .

#### خط مراكز الخدمة الحديث ( المحتملة ) :

ان العوامل التي أدت الى ظهور ونمو قوس المدن القديم – نسبيا – هذا ، وهي عوامل دلتاوية أساسا ، تمارس تأثيرها في ظهور خط المدن المحتمل ، وعادة ما تسبق عملية الظهور المدني مرحلة من النمو الاقتصادي السكاني ، فالمدينة – كما سبق – تظهر طبقا لواقع موضوعي ، لتقوم بأعمال لا بد وأن تؤدي في أماكن مركزية ، والجانب الاقليمي Regional Component هو الأصل في وظيفتها ومن هنا لا يمكن فهم حقيقة التوزيع المدني ٠٠ الا اذا درست علاقاتها الاقليمية ، والأرجح أن ظهور القوس المدني الجنوبي تباعا منذ ثلاثينات القرن ١٩ ٠٠ كانت تعبيراً عن قوة هذا النطاق الاقتصادي ، كما كانت انعكاسا لحاجته اليها ، وقد ظهرت مدن البرارى تباعا مرتبطة بأقاليمها الريفية وتعبيرا عن حاجته لمراكز خدمة اقليمية ، وكانت ذلك بلاشك من أسباب نموها معا ٠٠



الريف والمدينة ، غير أن اتساع أقاليم خدمة هذه المراكز مع استصلاح الأراضي البائرة ٠٠ وما يتبع ذلك من نمو عمراني ، أدى الى تباعد هذه المدن عن هوامشها النامية ، وفرضت دنيا ميكية الحاجة الى مراكز خدمة ظهور مجموعة حديثة منها مرتبطة بالمناطق الهامشية هذه ، تمثلت في خط يبدأ من قرية مطوبس على فرع رشيد غربا الى قرية الحامول شرقا ، مورا بقرتي سد خميس ، والرياض ، ونمت مرتبطة بأقاليمها المستصلحة ، وخاصة في ظل تباعد العواصم الادارية القديمة ، وبالأخص ٠٠ مع تركيز مجموعة من الخدمات العالية المستوى بها ، وقد تميزت هذه المراكز الى حد أنها تشير الى احتمالات تغيرات ادارية واسعة في شمال الدلتا ٠٠ ربما في المستقبل القريب ، فهي مدن البراري الحقيقية ٠٠ فالقوس الجنوبي يمكن اعتباره آخر خطوط المدن في الدلتا المزروعة منذ زمن فرعوني ، أما هذا الخط - مع واسطته سيدي سالم - فهو نتاج تطور البراري منذ منتصف القرن ١٩ ، ذلك التطور العمراني الذي تمثل العزب المتناثرة أول مراحل ، والقرى المتجمعة المندمجة استمرارا لنمو ريفه وزراعته ، ثم تأتي المدن تعبيرا عن حاجته وعن قوته ، عن حاجته لمراكز خدمته الخاصة ٠٠ وعن قوته الاقتصادية المتمثلة في وجود فائض انتاجي يحتاج للتصريف والتسويق .

- وظاهرة نمو مراكز الخدمة الاقليمية هذه ٠٠ من أهم ظواهر النمو العمراني في المنطقة ، ورغم وجود بعض أوجه التشابه بين مراحل نمو هذه المراكز ٠٠ وبين مراحل ظهور العواصم الادارية القديمة ، إلا أنه يمكن تبين بعض الاختلافات التفصيلية أيضا ، منها ان هذه المراكز النامية ٠٠ قد تجرثمت بجوار واحد من كبرى المنطقة الرئيسية ، التي تتميز بأهميتها في الوصل بين مناطق واسعة ، فمثلا - اكتسبت مطوبس أهميتها الحالية مع انشاء كوبري على فرع النيل رشيد ، يصل بواسطة الخط الحديدي بين شمالي محافظة كفر الشيخ وغرب الدلتا ٠٠ فالاسكندرية ، كما تقع الرياض غربى كوبري هام ٠٠ على ترعة ديل القاصد شمالي مركز كفر الشيخ ، وكذلك الحامول على الجانب الغربي لكوبري هام على بحر تيرة ، يصل بين شرقي مركز بيلا ومعظم أجزاء المحافظة ، وكذلك سد خميس التي تقع عند هويس عثمان ، حيث تلتقي معظم مصارف دسوق وقلين وسيدي سالم ، ومن ناحية ثانية ٠٠ فان هذه المراكز تنمو من خلال شارع تجارى رئيسي ، قد يكون شارعها الوحيد ، ويعد بمثابة شريانها الرئيسي ، ومصدر جاذبيتها ونموها . ويلاحظ ذلك بالنسبة لجميع هذه المراكز بل وأيضا ٠٠ بالنسبة لمدينة سيدي سالم التي تعد بأكورة الظهور المدني في هذا النطاق .

والواقع ان ديناميكية الظهور المدنى للعواصم القديمة الجنوبية ، كان مختلفا نسبيا ، فالأخيرة قد ظهرت ونمت لأسباب تتصل بمواقعها الهامة بين مجموعة قرى متجاورة ، فى منطقة زاخرة بالقصرى القديمة ، ساهم فى ذلك .. اختيارها كمحطات هامة على خطوط حديد الدلتا المزالة ، ثم اكسبتها أسواقها الاسبوعية شهرة أكبر من محلية ، وكانت اضافة الوظيفة الادارية اليها بعد ذلك ، بمثابة تحويل لخط نموها القروى ، على أنه .. لا شك أن ارتباط مراكز الخدمة الاقليمية بالمناطق حديثة الاستزراع ، وارتباط العواصم الادارية الحالية بالمناطق المستزرعة من قديم .. يعد أهم أوجه الاختلاف بينها .. وهو الدافع الأساسى وراء ظهور أى مركز خدمة أو مدينة ، وهذه العوامل السابق ذكرها كأوجه للاختلاف بينها ، يرتبط أساسا بالمرحلة التى لظهور كل منها ، كما أننا نجد قدرا من الاشتراك فى خصائص النمو وسماته بين المدن الحالية والمراكز النامية .. وان يكن بنسب متفاوتة ، ومن المرجح أن لا يودى هذا الاختلاف النسبى الناتج عن مرحلة النمو - آخر الأمر - الى اختلافات واضحة فى اتجاهات النمو الحالية ، وخاصة فى ظل الحضارة الزراعية السائدة .

#### القسم الرابع

---

نحو خريطة ادارية جديدة للدلتا المصرية  
تنظيم العلاقة بين الريف والمدينة على  
التطبيق على محافظة كفر الشيخ



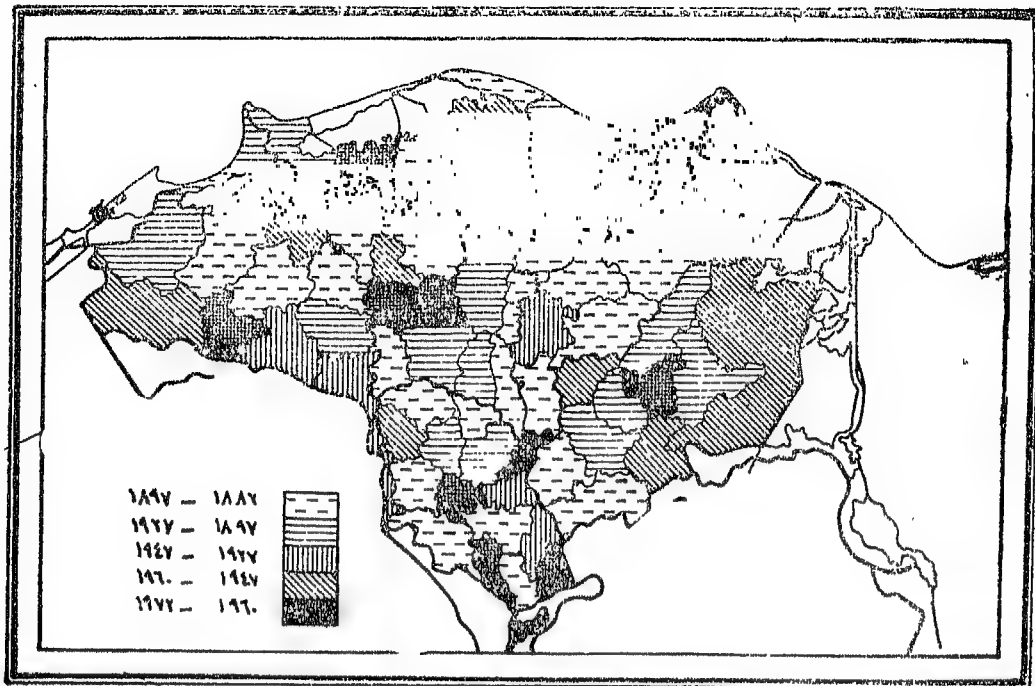
## نحو خريطة إدارية جديدة للدلتا المصرية تنظيم العلاقة بين الريف والمدينة ( مع التطبيق على محافظة كفر الشيخ )

ان دراسة التغيرات الإدارية - لمنطقة ما - لا تتم لضرورتها في ذاتها وحسب ، بل - أيضا - باعتبارها حركة تعكس التغيرات الاقتصادية والسكانية في هذه المنطقة ، وبمعنى آخر ٠٠٠ فان التغيرات الإدارية ليست - في الغالب - سوى محاولات التنظيم المتلاحقة لمتابعة تغيرات اقتصادية سكانية سبقتها ، فليس التنظيم الإداري الا اطارا ٠٠٠٠ يحتوى كيانا عمرانيا ل يتيح له امكانات الحركة الصحيحة للتطور والنمو ، ولذلك يجب أن يراعى الحقائق الاقتصادية السائدة ، والخصائص السكانية للمنطقة ، ومواصفات المكان الطبيعية ، وتشكيلات القرى والمدن خلاله ، وذلك وفقا لأصول منهجية علمية محددة .

والغالب على تغيرات خريطة الدلتا الإدارية - منذ عهد محمد علي خاصة - انها كانت انعكاسا مباشرا أو غير مباشر لتطورات اقتصادية سبقتها ، وتمثل زيادة المساحة المزروعة على حساب المساحة البائرة ٠٠ أهم هذه التطورات ، والثابت أن هذه الزيادة ٠٠ كانت تتحقق - وما تزال - في حركة عامة نحو هوامش الدلتا ، ويعد النمو السكاني والسكنى من أسباب هذه الحرية ومن نتائجها أيضا ، وبصفة عامة - كانت التغيرات الإدارية - وظيفيا - محاولات متتابعة لاستيعاب الواقع الاقتصادي السكاني الجديد ( شكل ٩ ) .

لقد تزايد عدد مراكز الدلتا الإدارية من ٣٨ - ٦١ مركزا بين تعدادى ١٨٩٧ - ١٩٦٠ ، وقد تمت هذه الزيادة في اتجاهات أساسية ٠٠ يمكن تحديدها كما يلي :

أولا : تقسيم المراكز الهامشية الكبيرة المساحة في هوامش الدلتا الشرقية والغربية والشمالية ويعد تفاوت مساحة أقسام الدلتا الإدارية سمة أصيلة في بنائها هذا ومستمرة ، ويلاحظ أن مساحة هذه الاقسام تتجه للزيادة نحو هوامشها ، كما تتناقص الكثافة السكانية ، ونسبة



#### تغيرات عند المراكز الإدارية في طسا النيل بين ١٨٨٢ - ١٩٧٢

الأراضي المزروعة الى جملة الزمام في نفس الاتجاه ، ولذلك وتمشياً مع عوامل النمو العمراني الدلتاوى .. تتجه خريطتها الادارية للتحديد .. لاحتواء الواقع العمراني النامي عند هوامشها من ناحية والتخفيف عن عواصم مراكزها الادارية القديمة من ناحية ثانية .

**ثانياً :** انشاء بعض المراكز الادارية على حساب أخرى كثيفة السكان والسكن ، ويأتى هذا الاتجاه في مرحلة تالية للاتجاه السابق غالباً ، فان هذه الكثافة تؤدي بدورها - ربما دون تضخم مساحى - الى تقسيم ادارى أكثر تخصيصاً ، خاصة وانه يشمل - عادة - نمو بعض القرى الى حد تصبح معه من مراكز الخدمة الاقليمية الهامة ، بل وقد تنهيا نسبة منها للتحويل الى مدينة ، ويلاحظ أنه بينما كان تضخم المراكز الهامشية مساحياً .. يعبر عن مرحلة أولية فى البناء الادارى ، فان التشكيل الادارى لوسط الدلتا وجنوبها .. كان دائماً أكثر تحديداً ، وانشاء المراكز الجديدة فى هذا الاتجاه الثانى ، يجب ان يراعى واقعاً عمرانياً كثيفاً نسبياً .. وقائماً بالفعل وله حركته الداخلية بين مدنه وقراه ، ويفسر هذا الاتجاه انشاء المراكز الادارية الجديدة فى المنوفية والقليوبية خاصة منذ ذلك الحين ، ويمكن توقع سيادة هذا الاتجاه فى المناطق الهامشية من الدلتا مستقبلاً .

ثالثا : الغاء بعض المراكز ٠٠ ونشاء غيرها بأسماء أخرى غالبا ، فقد ورننت خريطة الدلتا الادارية فى أواخر القرن ١٩ بعض العواصم الادارية باعتبارات تاريخية أكثر منها اقتصادية ، وقد أدى نمو الدلتا السكاني السكنى منذ منتصف القرن ١٩ الى ظهور ونمو بعض مراكزها السكنية الى حد استقطبت معه أقاليمها الريفية اقتصاديا ، مما أدى الى ضرورة اعادة تنظيم العلاقة بين القرى والعواصم ، وذلك لكى تتفق العلاقة الادارية مع الواقع الاقتصادى وارتباطاته ، وتمثل ذلك فى اختيار عواصم ادارية جديدة وفى تعديل حدود المراكز تبعا لذلك ، وهكذا ٠٠ اختفت تسميات بعض المراكز وتراجعت عواصمها القديمة عن وظائفها الادارية ، مثل « العطف والنجيلية » ( بحيرة ) ، « والصوالح ، القنايات ، العارين » ( برقية ) ، « وميت سمنود » ( دقهلية ) ، « وشبرا ، نوى » ( قليوبية ) ، « ومليج ، سبك » ( منوفية ) ، وحلت محلها عواصم أخرى لنفس المراكز ، أو بعد تعديلات فى حدودها .

— غير أن انشاء « مديرية الفؤادية » ( محفظة كفر الشيخ ) بعد أهم التغيرات الادارية فى الدلتا منذ عهد محمد على وأكثرها دلالة ، فهى « المديرية » ( المحافظة ) الوحيدة التى أضيفت الى خريطة الدلتا الادارية منذ ذلك الحين ، وبعد انشاؤها سنة ١٩٤٩ ٠٠ فصلا عن الغربية — أو من باطنها — خلاصة للتغيرات الادارية التى تعرض لها وسط وشمال الدلتا منذ منتصف القرن ١٩ ، وقد تأثرت بمثل ما تعرضت له الدلتا — عامة — من عوامل التغير وأسبابه ، وأدت ظروفها الجغرافية والتاريخية الخاصة الى بناء ادارى له سماته المتميزة ، فهى المحافظة « المديرية » التى استوعبت عندها انشائها معظم الأراضى المعروفة تاريخيا بالبرارى ، والتى تشمل ذلك الجزء المعروف جغرافيا بشمال الدلتا ، وانشائها قرب منتصف القرن ٢٠ ، يمثل مرحلة هامة فى تاريخ وجغرافية هذا الجزء من الدلتا ، بعد أكثر من قرن من الجهود المضنية فى الاستصلاح والاستزراع والتعمير ، بحيث يمكن اعتبار تأطيرها اداريا بمثابة اعتراف بما أصاب « البرارى » من تغيرات أساسية فى خريطتها الاقتصادية ، تغيرات فرضت فى نهاية الأمر فصلها من « مديرية » الغربية ، فاذا كان جائزا وممكنا أن تتبع البرارى كمساحات شاسعة شبه خالية من السكان والسكان المديرية الأخيرة ، فإن تزايد ثقلها العمرانى تدريجيا قد أدى الى استقلالها اداريا آخر الأمر ، وهذا ما يتفق تماما مع ديناميكية التغيرات الادارية الدلتاوية .

— ورغم أن تغيرات الخريطة الادارية للدلتا ٠٠ تعد سمة مستمرة

فى تاريخها ، تكاد تنمشى مع مراحل تعميرها ، ومع التطورات السياسية التى تعرضت لها مصر بعامة منذ نهاية العصر الفرعونى ، الا أن الأسس التى تمت من خلالها هذه التغيرات ليست واضحة تماما ٠٠ الا من حيث ارتباطها بالاطار الواسع للعمران والزراعة فى الدلتا ، أى بالسكن وكشوف الضرائب ، ومن هذا ٠٠ فان محاولة اقتراح خريطة ادارية جديدة للدلتا أو المنطقة ما داخلها ٠٠ تكتنفها - بداية - المشاكل ، خاصة ٠٠ اذا حاولت أن تنمشى مع أسس جديدة واضحة ، وارتباطات اقليمية محددة ، تتصل بالواقع وترمى لاستيعاب امكانيات المستقبل ، وأن تقبم حدودها على أساس من مواجهة ظروف المنطقة المتغيرة ، بهدف نهية أنسب الاطارات الادارية الممكنة لتحقيق النمو بمعدلات عالية .

- والواقع أن هذا البحث لا يطمح الى تقديم خريطة ادارية جديدة للدلتا بأكملها ، انها مهمة لا يمكن أن يحققها بحث منفرد الا بشكل عام للغاية ٠٠ ربما تصل فائدته التطبيقية الى أدناها ، ولكن توضيح الأسس والقواعد المقترحة للبناء الادارى للدلتا ربما يتحقق من خلال نموذج لمنطقة محددة اداريا بها ، وربما كانت محافظة كفر الشيخ أكثرها ملائمة من هذه الناحية لأسباب عامة تتصل بالدلتا ككل ٠٠ وأخرى خاصة بها ، أما بالنسبة للأسباب العامة ٠٠ فقد سبقت الاشارة الى احتواء هذه المحافظة لمعظم المنطقة المعروفة بشمال الدلتا ، ويعد شمال الدلتا منطقة نموذجية لتوضيح تأثير العوامل الحضارية والتاريخية بالنسبة لعمرائها وزراعتها ، فاذا كانت المنطقة تنتمى عموما للمرحلة الأخيرة من تعمير الدلتا ، فان هوامشها الجنوبية تنتمى الى وسط الدلتا وجنوبيها من حيث مرحلة التعمير ، فهى - من زاوية ما - تكاد تلخص مراحل تعمير الدلتا وتغيرات خريطتها الادارية ، فالثابت أن هذه الهوامش جنوبى كونتور ٣ م ٠٠ قد شهدت القرى القديمة المندمجة المرتبطة بأحواضها الزراعية منذ زمن فرعونى ، تتصل وغيرها من خلال السكك والمسارات ، وتتجمع تجارتها فى مجموعة من الأسواق المحلية ، بل كان لها يرمها مقاطعات وممالك تضمها ، وآلهة مشهورة تعبدتها ، وجيوش تحقق أهدافها وسيطرتها ولم تكن الصورة مشابهة بأى درجة شمالى الكونتور المذكور مع تلك السابق إيجازها ، لقد ظلت كما توضح الخرائط التاريخية للدلتا ٠٠ شبه خالية من السكن والسكان حتى نهاية القرن ١٩ ، حين بدأت عوامل التغيير تأخذ طريقها اليها ، متمثلة فى الزيادة السكانية العامة والتوسع الزراعى على حساب الأراضى البائرة ، وغير ذلك من الظروف التى تتصل بمصر منذ ذلك الحين ٠٠ وأخرى تتصل بالعالم الخارجى وتطورات



أحدانه . ومن ثم بدأت حدودها الادارية تتعرض لأكثر التغيرات الادارية وضوحا في الدلتا ، خاصة بعد أن أخذت الثنائية القديمة الواضحة في خريطة الدلتا السكانية والزراعية عامة ٠٠ وفي شمالها خاصة تبهر تدريجيا ، وبعد ذلك فإن التغيرات الادارية التي تعرضت لها المنطقة توضح الديناميكية التي كانت تتم بها التغيرات الادارية في الدلتا عامة ، وهي ديناميكية أقل ما نوصف به أنها مؤقتة أو مرحلية ، ولعل هذا ما يفسر تتابع التغيرات في فترات زمنية متقاربة كما سيبأتى تفصيله ، والدعوة هنا لأن تتم هذه التغييرات وفقا لقواعد وأسس واضحة ، تجدد في هذه المنطقة الحديثة مجالا للتطبيق ٠٠ قد لا تجده في غيرها من مناطق الدلتا .

— أما بالنسبة للأسباب الخاصة ٠٠ فالواقع أن محاولة اقتراح خريطة ادارية جديدة لشمال الدلتا عموما ومحافظة كفر الشيخ خصوصا ٠٠ لها دوافعها العديدة والملحة من نواحي مختلفة ٠٠ قد لا يمكن تحديدها بوضوح دون الإشارة الى الخريطة الادارية الحالية لهذه المنطقة ٠٠ مراحلها وبنائها وخصائص هذا البناء وسماته .

### الخريطة الادارية للمحافظة :

تكاد محافظة كفر الشيخ تشمل معظم مساحة ثلث الدلتا الشمالى بين فرعيها ، حيث تبلغ مساحتها ٣٤٩٢٤ كم<sup>٢</sup> ، أى بنسبة ١٥٨٨٪ من مساحة الدلتا ( ٢٢ ألف كم<sup>٢</sup> ) ، تأخذ شكلا أقرب للمستطيل ٠٠ يمثل محور فرع رشيد ضلعه الغربى بطول ٨٦ر٥ كم بداية من مصبه شمالا ، يفصل بينها وبين محافظة البحيرة ، ورغم أن فرع رشيد كان يمثل دائما حدا ادريا قاطعا بالضرورة ، الا انه لم يكن كذلك من الناحية الاقتصادية ، خاصة مع تسهيلات المواصلات الحديثة ، ومن الشمال تشرف المحافظة على البحر المتوسط بجهة طولها ٩٥ كم بداية من مصب رشيد غربا ، تشمل بذلك بحيرة البرلس بأكملها ، بعد ذلك هى ذائبة جنوبا وشرقا في الدلتا ، تشترك — جنوبا — مع محافظة الغربية في حدود طولها نحو ٨٧ كم ، ويعود تاريخها الادارى — فى معظمه — جزءا من التاريخ الادارى للغربية ، وتجاورها شرقا محافظة الدقهلية على حدود مشتركة طولها ٦٢ كم ، وهى أيضا منطقة تاريخ ادارى مشترك بين المحافظتين ٠٠ لكثرة التغيرات الادارية التى تناولتها قبل وبعد انشاء « الفؤادية » ، ولكن العلاقة الاقتصادية والتوجيه الجغرافى — هنا فى الشرق — ليسا فى كشافتها جنوبا لأسباب تتصل بضيق الرقعة المشتركة التى تناولتها

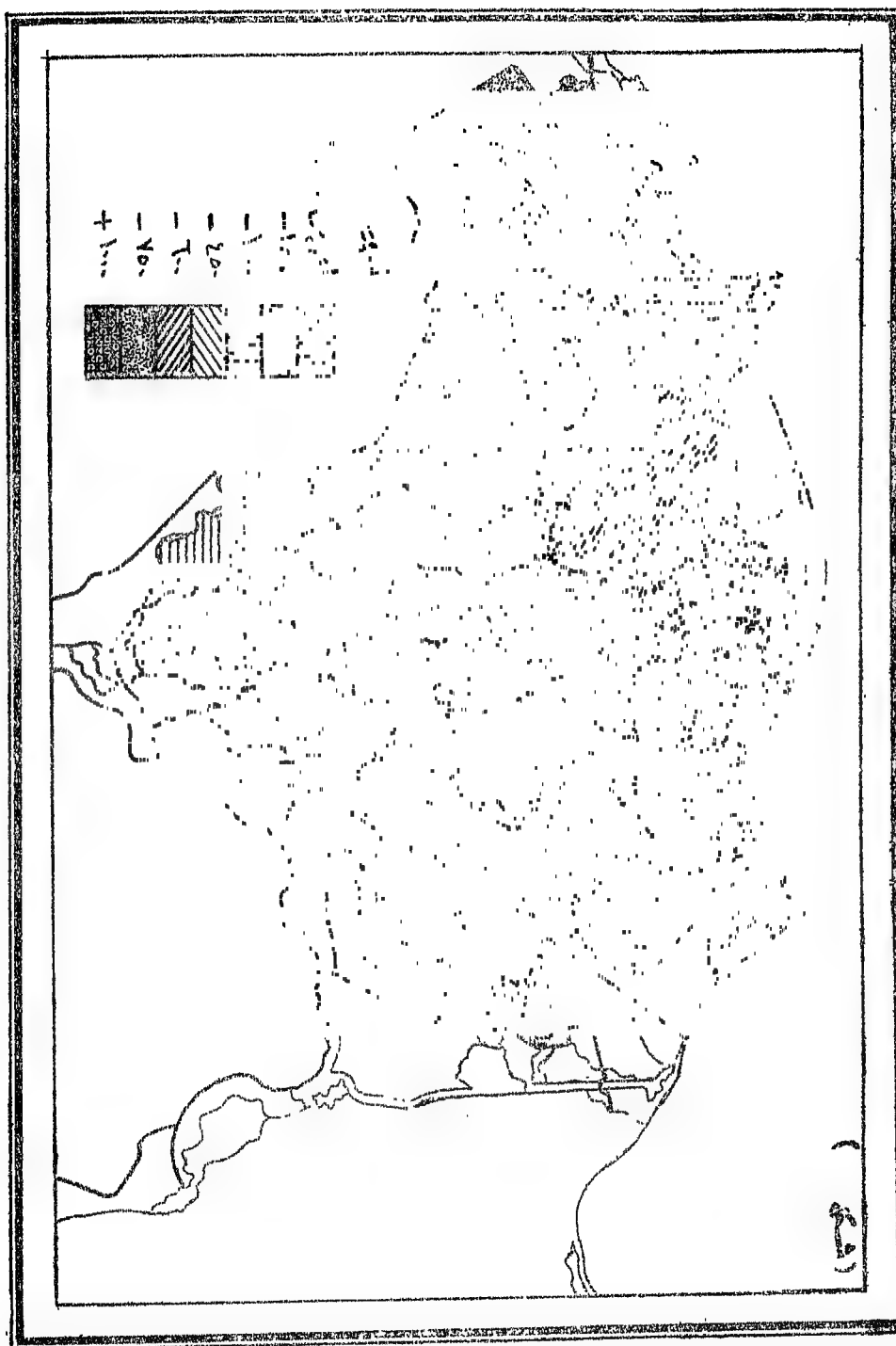
التغييرات ، وفقرها النسبي اقتصاديا وسكانيا ، واتجاه حركة العلاقة والمواصلات أساسا . نحو قلب الدلتا ورأسها .

### البناء الإداري ( مراحل تكوينه ، خصائصه ) :

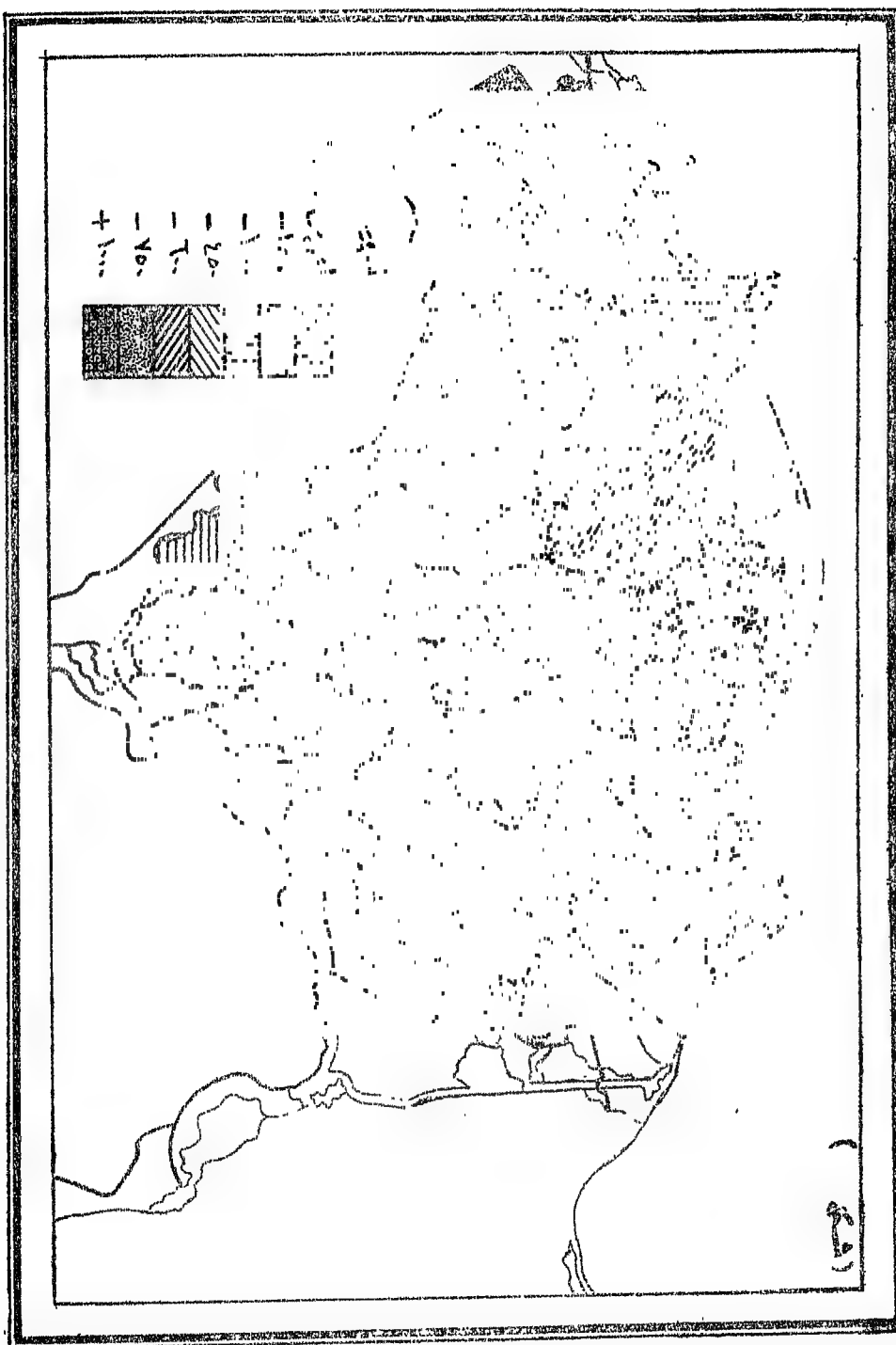
تتكون محافظة كفر الشيخ من سبعة مراكز إدارية ، أضيفت إلى الدلتا - إداريا - خلال فترة طويلة ، امتدت من ثلاثينات القرن ١٩ حتى ستينات العشرين ، وهي الفترة التي اتجهت فيها خريطة الدلتا الإدارية نحو التوحيد والخصوصية ، بحيث ارتفع عدد مراكزها من ٣٨ إلى ٦١ مركزا بين تعدادي ١٨٩٧ - ١٩٦٠ كما سبقت الإشارة .

- وتتأثر المحافظة بمتل ما تأثرت به الدلتا في الماضي . وما تتعرض له في الحاضر من عوامل التغيير ، لقد تكونت مراكز « كفر الشيخ » ، دسوق ، فوة ، البرلس تباعا قبل نهاية القرن ١٩ ، داخل الإطار الإداري للغربية ، ويتبين من دراسة الشكل المذكور ، أن المراكز الثلاثة الأولى . كانت من الاتساع بحيث أشرفت إداريا على معظم مساحة المحافظة الحالية ، والثابت أن الأجزاء من هذه المراكز شمالي كوتنور ٣ م . كانت قليلة السكان باثرة الأراضي عامة ، والمرجح أن هذه المراكز وعواصمها . قد ظهرت وتكونت أساسا لاحتواء وخدمة الواقع العمراني جنوبي هذا الخط . حسب حدودها آنذاك ، وتعكس التغييرات الإدارية - بعد ذلك - النمو العمراني في ذلك الجزء الشمالي من الدلتا ، بحيث أدت في النهاية - ضمن ما أدت - إلى تكوين مراكز بيلا وقلين وسيدى سالم .

وقد انشئت « مديرية الفؤادية » بالقانون ١٤٦ لسنة ١٩٤٩ من خمس مراكز إدارية فضلا عن مديرية الغربية ، ارتفع عددها إلى سبعة . بعد إعادة تكوين مركز البرلس وإنشاء مركز سيدى سالم ، وقد أورثت الغربية - الأم - الفؤادية - الابنة - عددا من سمات تكوينها الإداري القدير ، مثل تضخم مساحة المراكز الشمالية ، ومواقع العواصم الهامشية ، واحتمالات التغييرات الإدارية .



تصنيف مراكز المدن حسب الساحة ١٩٦٠



مراكزها الجنوبية ، وتشير هذه المواقع الى أن هذه العواصم قد ظهرت تباعا لخدمة الاجزاء الجنوبية من المحافظة ، تلك الاجزاء الراسخة المعمور من قديم ، وكان اشرفها على الاجزاء الشمالية ( البرارى ) من باب الضرورة آنذاك ، كما لم تكن تلك الاجزاء تشكل عبئا اداريا على تلك العواصم ، حيث كانت شبه باثرة قليلة السكان متبعدة السكن ، غير ان النمو العمرانى الذى شهدته المنطقة عامة ٠٠ وتلك الاجزاء الشمالية خاصة ، أدى الى ظهور ظروف جديدة تتبلور تدريجيا ، وظهرت مشكلة المسافات التى طالت بين مراكز السكن القري والعزب الشمالية النامية وبين العواصم الادارية ( المدن ) الجنوبية ، كما أن القدرة الاقليمية لهذه العواصم - هى محدودة بحكم حداثتها - لم تعد كافية لتحمل أعباء هذا الواقع العمرانى النامى ، خاصة فى ظل شبكة مواصلات رديئة غالبا ، وقد أدى ذلك - كما سبقنا الإشارة أكثر من مرة - الى ظهور عدد من مراكز الخدمة الاقليمية مرتبطة بتلك الاجزاء النامية شمالى كونتور ٣٣ ، وتتمثل فى خط يمتد من قرية مطويس على فرع رشيد غربا ( مركز فوة ) ٠ ثم سد خميس ( سيدى سالم ) ، والرياض ( كفر الشيخ ) وينتهى عند الحامول شرقا ( بيل ) ، وهى مجموعة من مراكز الخدمة تمر - عامة - بنفس مراحل ظهور العواصم الجنوبية ، من حيث تركيز عدد من مستويات الخدمة الادارية والتعليمية والصحية الجيدة كما أنها تنمو كاسواق لتصرف فائض انتاج المناطق المستصلحة ، بحيث أصبح لها منطقة خدمة تتجه اليها وتساهم فى زيادة معدلات نموها ، بحيث يمكن توقع أن تصبح مراكز الخدمة هذه - بشكل ما - عواصم ادارية جديدة لهذه الاجزاء ، اذا ما استقر الرأى على انشاء عدد من المراكز الادارية الجديدة ، ويمكن اعتبار انشاء مركز سيدى سالم حول مدينة سيدى سالم - ولم تكن تزيد عن مركز خدمة اقليمى محدود - بداية لهذا الاتجاه .

### الحدود الادارية :

يخضع التحديد الادارى للمحافظة للنمط الشائع فى الدلتا ، فتقسيم الأخيرة يتمشى عادة مع ظاهراتها الطبوغرافية الرئيسية ، وربما أوحى التقسيم الطبيعى لمصر الى الدلتا والوادي ٠٠ بأول تقسيم ادارى لها ، وبعد ذلك ٠٠ يمثل مجرى النيل الرئيسى وفروعه والترع والمصارف ، الخطوط الأساسية التى تتفق معها - عادة - الحدود الادارية للمحافظات والمراكز والنواحي اذا أمكن .

وتتخذ الخريطة الادارية للمحافظة شكلا أقرب للمستطيلات

المتجاورة ، حيث تمتد حدود مراكزها من الجنوب الى الشمال باستثناء مركز البرلس ، بل ان حدود مركزى بيلا وكفر الشيخ تمتد بطول المحافظة كلها ، مما يمنحها طولا قد لا يلاحظ فى غيرها من مراكز الدلتا الادارية ، سمة مستمرة من وقت اشرافها الادارى على برارى الشمال ، ويخلق هذا التشكيل مشاكل ادارية عديدة ، تتصل بتباعد المسافات بين القرى وعواصمها ، وتوزيع الخدمات بأنواعها فى هذا الاطار المترامى المتباعد السىء المواصلات غالبا ، وان كانت هذه المشاكل أقل حدة فى مركزى قلين ودسوق بسبب تقارب القرى وقلة عدد العزب نسبيا ، فضلا عن مساحتهما المعقولة .

ومن ناحية أخرى ٠٠ فقد حرمت خمسة من مراكز المحافظة — بسبب هذا التشكيل — من جبهة نهريّة ، وتمتع مركزا دسوق وفوة فقط بميزات الموقع على فرع رشيد المتمثلة فى وسيلة اتصال سهلة ورخيصة بوسط الدلتا وجنوبها ، فضلا عن الميزات الخاصة بالرّى ، وفى نفس الوقت ٠٠ يلاحظ أنه باستثناء مركزى دسوق وقلين ، فان بقية المراكز تتمتع بجبهة بحيرية على بحيرة البرلس ، وتزايد أهمية البحيرة فى الوقت الحاضر مع استصلاح الأراضى المتاخمة لها من الجنوب ، وتقلص مساحات البوار القديمة .

ويلاحظ أنه — باستثناء مركز سيدى سالم — فان بقية المراكز تشترك فى حدود ادارية مع مراكز من خارج المحافظة ، وقد تكون هذه ميزة شكلية نظرا لتشابه النمط الحضارى فى الدلتا عامة ، ولكن الغالب أن يؤدى الانفتاح على عدد كبير من المراكز وعواصمها وعواصم المحافظات الى تيسيرات خاصة بالمواصلات ، التى تمتد بين المدن الرئيسية بصورة جيدة عادة ، فقد كانت المواصلات الميسرة بين مدينتى كفر الشيخ ودسوق بأنحاء الدلتا ومدتها من أسباب نموها ، بينما أدى موقع مدينة فوة المتطرف نسبيا عن مناطق الكثافة الاقتصادية والسكانية فى الدلتا ، ورداءة مواصلاتها بينها وبين قراها ، ومجاورتها لعدد من المراكز الفقيرة نسبيا ٠٠ شرق وغرب فرع رشيد ، أدى الى تدهور مكانتها بين مدن المنطقة ، فقد تراجعت عن المركز الأول من حيث الحجم بينها فى تعداد ١٨٩٧ الى المركز الرابع فى تعداد ١٩٦٠ ، بعد مدن « كفر الشيخ ، دسوق ، بيلا » .

### التغيرات الادارية :

اتجهت الخريطة الادارية للمنطقة نحو التحديد تدريجيا ، وذلك بانشاء عدد كبير من النواحي المالية والادارية منذ نهاية القرن ١٩ ،

والواقع أن انشاء النواحي الجديدة كان يتم أساسا على حساب نواحي المنطقة الشمالية ، تلك التي كانت تتميز باتساع زماماتها غالبا .

ويوضح الجدول الآتي أن الاتجاهات الأساسية التي احتوت ظهور النواحي الجديدة كانت تجمعها خاصية أولية ، وهي أن هذه الاتجاهات جميعها ، كانت تعبيرا اداريا عن النمو العمراني في المنطقة منذ ذلك الحين بشقيه السكني والزراعي .

### اتجاهات التغيرات الادارية

البيان	القرى القديمة	تحويل العزبة الى قرية	تحويل مجموعة من العزب الى قرية	تقسيم الكتلة السكنية والزماء	نشأت من خارج الزمام	جملة
عدد القرى	٨٨	٦٨	٢٦	٨	٢	١٩٢

— وهكذا يعد تحويل العزبة الى قرية أهم اتجاهات التغير الاداري المرتبط بالعمران ، والواقع أنه من حيث العدد ٠٠ فإن العزبة تمثل الشكل السكني الرئيسي في المحافظة (٢٠٠٠ عزبة حسب تعداد ١٩٦٠) ، ولكنها تستوعب أقل قليلا من نصف سكان ريف المحافظة ( ٥٣٪ في القرى ، ٤٧٪ في العزب من جملة سكان الريف ١٩٦٠ ) ، وقد سبقت الإشارة الى عوامل ظهورها وانتشارها ، وقد سارت العزبة في نفس طريق القرى القديمة الجنوبية ، مرتبطة بالزراعة النامية ، بحيث توالى القرارات الادارية منذ نهاية القرن ١٩ ٠٠ خاصة بتحويل العزب الى قرى ، لأسباب تتصل بنموها في حد ذاته ، ثم حاجة اقليمها الزراعي لمركز خدمة ٠٠ خاصة مع تباعدها عن العموديات الجنوبية . وبذلك فقد تزحزح خط القرى نحو الشمال تدريجيا منذ ذلك الحين ، وقد بلغ عدد القرى التي أضيفت الى خريطة السكن في المنطقة منذ بداية القرن ١٩ ما يزيد عن مائة قرية ( ١٠٤ ) كانت جميعها في الأصل من العزب التوابع .

— أما بالنسبة للاتجاه الثاني ، ويشمل تحويل مجموعة متجاورة من العزب الى ناحية مالية وادارية ، فيختلف عن الاتجاه السابق من

عدة نواحي ، أهمها أن زمام مجموعة العزب يكون عادة واسعا ، يضم عددا كبيرا نسبيا من العزب المتناثرة ، لا يتميز معظمها بحجم خاص ، وعادة ما تكون العزبة المتوسطة الموقع هي مقر العمودية وليست الأكبر حجما ، ويسبق اسمها - بعد تحويلها الإداري - عادة لفظي « عزب » ٠٠ أو منشأة ٠٠ ، كما أنه أحدث نسبيا ، بمعنى أن معظم حالاتها تمت منذ بداية القرن ٢٠ ، ويظهر هذا الاتجاه في مراكز « دسوق » قوة ، سيدى سالم » ، بل ان معظم قرى الأخير الحالية - خاصة قسمه الغربى - ظهرت اداريا كمجموعة من العزب ، والغالب أن انشاء النواحي الجديدة كان يتم تبعا لأسباب متعددة ، منها تركيز بعض الخدمات الصحية أو التعليمية أو الادارية في القرى ، مما يحرم العزب البعيدة من ميزة الخدمات الميسرة ، فتطالب بعض العزب المتميزة بانشاء عموديات خاصة ، كما أن الرغبة في احتواء الواقع العمرانى النامى فى الأراضى المستصلحة من هذه الأسباب ، وهى تحدث أحيانا كانعكاس التغيرات الادارية المتتالية التى تعرضت لها المنطقة منذ بداية القرن ٢٠ .

- أما الاتجاهان الآخران فأقل أهمية ، فالأول ٠٠ ( تقسيم الكتلة السكنية والزمام ) ، يتم بتقسيم قرية كبيرة الى قريتين أو أكثر ، كما يتم بالضرورة تقسيم الزمام ، ليصبح لكل منها زمامها الخاص المستقل ، وتكون القرية الكبيرة - الاولى - عادة مكونة من كتلتين سكنيتين أو أكثر ٠٠ متجاورة أو متلاحمة ، لا يزيد البعد بينهما عادة عن ٥٠٠ م ، وقد يفصلهما ترعة أو مصرف أو طريق أو مشاية ، وهى تفسر ظاهرة « القرى التوأم » فى المنطقة وربما فى الدلتا ، أى القرى شبه المتصلة أو المتجاورة سكنيا ، ولكنها منفصلة اداريا وماليا .

أما الثانى ( انشاء نواحي من خارج الزمام ) ، فهو اتجاه قديم حين كانت بعض أراضى المنطقة الشمالية لا تتبع زمام أى قرية مجاورة ، وذلك لبوارها وخلوها من السكن والسكان ، وينتمى لهذا الاتجاه ٠٠ قرار انشاء ناحيتى « عزب الخليج بحرى ، وعزب الوقف بحرى » من نواحي مركز قوة ، وقد انشئت الاولى سنة ١٨٤١ ، والثانية سنة ١٨٥٠ ، والآن أصبحت جميع أراضى المنطقة مقسمة الى زمامات تتبع نواحيها المالية والادارية .

وبعد هذا العرض السريع للخريطة الادارية الحالية للمحافظة ٠٠ مراحلها وبنائها ٠٠ وخصائص هذا البناء وسماته ، يمكن تحديد الدوافع العديدة والملحة لمحاولة اقتراح خريطة ادارية جديدة لها كما يلي :



## أولا :

ان الخريطة الادارية الحالية للمحافظة قد وضعت فى ظروف تختلف عنها الآن سواء من ناحية عدد السكان ٠٠ أو كثافة العمران ٠٠ أو نسبة الأراضى المزروعة الى جملة الزمام ، لقد تغيرت هذه العناصر الثلاثة تغيرا كبيرا فى عقود السنين الأخيرة ، بما يفرض إعادة النظر فى الاطارات الادارية التى تشملها .

## ثانيا :

تعد محافظة كفر الشيخ ٠٠ الثالثة ٠٠ بين محافظات الدلتا من حيث المساحة ، وإذا كان ذلك فى حد ذاته بالنسبة لها - أيضا للمحافظات الواسعة - قد يصلح مبررا لتقسيم ادارى أكثر خصوصية ، فإن موقعها الهامشى يضيف مبررات جغرافية وتاريخية أخرى ، فهى بموقعها هذا تكاد تلخص ظروف الدلتا بأكملها ، فالقسم الجنوبى منها ٠٠ ينتمى طبيعيا واقتصاديا وسكنيا لوسط الدلتا وجنوبيها ، وذلك من حيث رسوخ الزراعة والعمران منذ زمن ربما فرعونى ، وتبدأ ظروفها فى الاختلاف تدريجيا فى الاتجاه الشمالى ، حيث تشمل معظم النطاق المعروف تاريخيا « بالبرارى » ، ذلك النطاق الذى تأخر تعميره حتى نهاية القرن ١٩ ، ورغم أن هذه الثنائية قد بهتت فى الوقت الحاضر ، مع عمليات استصلاح الأراضى البائرة ، وتسوية الكرايد والتلال المنتشرة ، الا أن آثارها ما تزال ملحوظة ، تتمثل فى انخفاض كثافة السكان والسكن عامة ، وارتفاع نسبة الأراضى البائرة الى جملة الزمام نسبيا ، وسيادة البرك والمستنقعات فى مساحات واسعة منها ، والمرجح أن ذلك الاختلاف يشير الى درجة من التفاوت أيضا فى اتجاهات النمو ، بقدر يؤيد محاولة التقسيم الادارى المقترحة هذه ، خاصة اذا ما دعمت المحاولة بخطة تنمية شاملة لكل من القسمين .

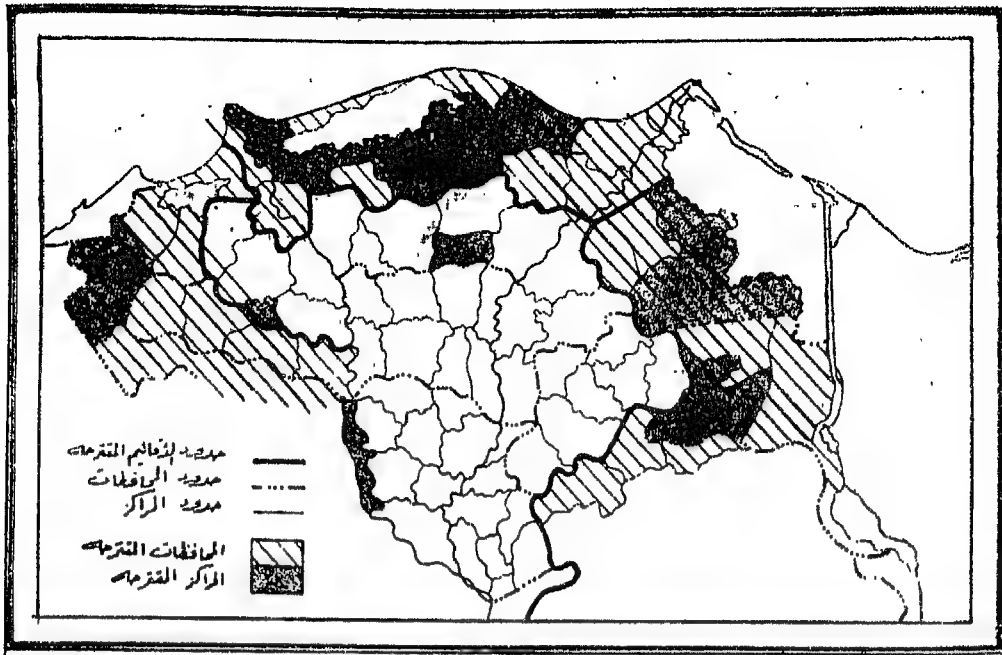
٣ - لقد أدت الظروف السابق توضيحها ، المرتبطة بتفاوت مراحل تعمير المنطقة ، الى ظاهرة هامشية مواقع العواصم الادارية فى المنطقة ، تلك العواصم التى ظهرت تباعا ، مرتبطة بالأجزاء الجنوبية المعمورة من المنطقة ، ومع امتداد العمران نحو الشمال ٠٠ تباعدت المسافات بينها وبين القرى والعزب التى ظهرت مرتبطة بالعمران الجديد ، وإذا أضيف الى ذلك نمو هذا العمران الجديد من الناحية الاقتصادية ، بدرجة أدت الى ظهور مراكز خدمته وأسواقه الخاصة ، فإن هناك ضرورة أخرى تظهر ٠٠ مشيرة الى احتمالات التغيير ، وهى إتاحة الفرصة للنمو المدنى لهذه المناطق الجديدة ، وذلك من خلال انعاش مراكز خدمتها النامية وتحويلها الى عواصم ادارية ، أى الى مدن .

٤ - يحتاج التخطيط الاقليمي لمنطقة ما الى شروط خاصة ، من أهمها ٠٠ وجود درجة من التشابه في ظروفها الطبيعية والحضارية ، ولا شك أن خطة التنمية في منطقة راسخة العمران من قديم ، متكاثفة السكن والسكان ، تكاد تزرع معظم أراضيها ، تختلف عنها في منطقة أخرى ، حديثة الاستزراع ٠٠ متبددة السكن نسبيا ، قليلة الكثافة السكانية عموما ، وهكذا ٠٠ فان متطلبات وضع خطة تنمية للمنطقة - بوضعها الادارى الراهن - قد تواجه مشكلة تفاوت مراحل نمو أجزائها ، والأرجح أن محاولة تمييز أقسامها ٠٠ بشكل يتفق مع مراحل نموها ، من العوامل المساعدة لوضع خطة تنمية مناسبة لهذه الأقسام ، تبعا لمتطلباتها الخاصة .

واذا كان الاقليم من وجهة النظر الجغرافية هو « مساحة متناسقة ٠٠ بالنظر الى مجموعة خاصة من الظروف المتداخلة ، سواء أكانت طبيعية أو حضارية ، مما يكون فى النهاية مركبا له سماته المتميزة » ، فان هناك من يضيف مفهوم « الوحدات الادارية الطبيعية Natural administrative units » ، وهى الوحدات المناسبة لتغطية الاهتمامات الاقتصادية والاجتماعية للسكان ، لكى تحل محل الوحدات الادارية التقليدية المصنوعة Artificial غالبا ، والتي تنظم مناطق معينة كاطارات بعيدة - بدرجات متفاوتة - عن مطالب الحياة الحديثة والمتغيرة فى اقليم من الأقاليم ، ومثل هذه الوحدات الادارية الطبيعية ، تمثل الاطارات المناسبة لتنظيم المجتمع الحديث لأى غرض خاص ، مثل تخطيط المدن والريف ، وانماء الموارد الممكنة والمتاحة ، ووضع نظام جديد للحكم المحلى ، وجمع المعلومات والمادة الاحصائية ، وتقديم الخدمات الصحية والتعليمية والسكنية وغيرها ، وهكذا يظهر تميز هذه الوحدات ، ويجب أن تتجه الوحدات الادارية للاتساق معها وليس العكس ، فهناك حاجة الى وحدات محلية جديدة تناسب الحاجات المتغيرة ، ولها خصائص مختلفة عما هى عليه الآن ، وحدات اقليمية - لها حدودها الواضحة نسبيا ، المرتبطة بظروفها الطبيعية والحضارية ، وذلك خدمة لها ، وحتى لا تنفصل ظروف مركبها الحضارى عن الطبيعى أو العكس .

- وربما يجدر الآن ٠٠ وضع الخطوط العريضة للخريطة الادارية المقترحة لمحافظة كفر الشيخ - باعتبارها النموذج المختار لهذه الدعوة نحو خريطة ادارية جديدة للدلتا - ولتوضيح الأسس التي يجب على أساسها تغيير الخريطة الادارية الحالية للدلتا ، وذلك كما يلي : (شكل ١١) .

أولا : تقسيم مراكزها الادارية الحالية ٠٠ بحيث يصل عددها الى أحد عشر مركزا ٠٠ بدلا من سبعة كما هو حالها الآن .



(شكلاء) الرظنة البءرظباء المقزمء لءلءا النبل

**ءانبا :** اقءراء انشاء مقظاءة ءسءءءة ، ءضم مرأكزها ءءءءءة المقءرءة وءرءها ، بءءء ءشمل أءزاءها الشماءىة عاماء .

والواقع أن الصعوبة المباشرة ءى ءواجه مثل هذا الاقءراء . . هو أنه من العسبر . . ءصور ءخطىء اءارى ءءءء لمنطقة ما ، ءون أن يؤءر ءلك بءرءاء مءبائنة فى ءرظئة الاءارىة ءءاءة للءلءا عموما وبخاصة فى الأقسام الاءارىة المءاورة للمقظاءة ، أن ءلك قء يؤءى الى اءءلال فى ءلوازن النسبى الراهن لءرظئة الءلءا الاءارىة ، خاصة . . وأن انشاء مرأكز اءارىة ءءءءة ، سبؤءى بالضرورة الى ظهور عواصم اءارىة ءءءءة ، وما ىءبع ءلك من اءءلال العلاءاء المءنىة الاقلبمىة ، على أنه من الصعب مءاولء الخروج بنطاق الاقءراء عن مقظاءة كفر الشبء . . الا بءءر شءءء ، وفقط من ءىء ءقءءم بعض ءلوصبائ العامة ، لأن ءلك ىقءضى الءراسءة الشاملاء لءمبب الاواءاء الاءارىة ءءاءة فى الءلءا . . أى المقظاءاء والمرأكز ، ومعنى هذا . . أن هذه المءاولء لن ءءعءى ءءوء المقظاءة ءءارءبىة ءءاءة ، على أن ىءءوى الاقءراء من المروءة ، ما ىسمح بامكانبىة ءفببراء فى هذه الءءوء فى المسءقبل ، ءءقق لها أكبر قءر ممكن من ءلناسق مع المقظاءاء المءاورة .

## أولا - اضافة أربع مراكز ادارية الى المحافظة :

ان انشاء المراكز الجديدة .. سيتم من حيث الشكل .. بتقسيم مراكز المنطقة المتضخمة تقسيما عرضيا ، أى أن الخطوط المقترحة .. ستسير عامة من الغرب الى الشرق ، مع التعديلات المناسبة فى الأطر الادارية لجميع مراكز المحافظة الادارية ، ومن ناحية **المضمون** .. فان هذه الحدود ستفصل بين نطاقين تمايزت ظروفها الاقتصادية والسكانية ، مع مراعاة وضع العواصم المقترحة بالنسبة لقراها ، ومحاولة ايجاد قدر من التوازن فى مساحة المراكز الجديدة والقديمة ، وقبل الاستطراد فى مثل هذا التحليل ، يمكن تقديم الجدول التالى ، ويلخص الوضع الادارى المقترح :



## ويوضح الجدول والخريطة المرفقة ما يلي :

١ - يتم انشاء « مركز مطوبس » على حساب مركز فوة ، وذلك بفصل ١٧ ناحية من توابع الأخير الشمالية ، وبذلك تتمشى حدود المركز الجديد مع فرع رشيد غربا ، وتتجه شرقا متمشية مع الحدود الادارية الجنوبية لنواحي « مطوبس » ، عزبة عمرو ، القومسيون شرقا ، ثم تتجه شمالا ، حيث تتمشى مع الحدود الشمالية الشرقية لمركز فوة ، وجملة مساحة المركز المقترح ٢٨٩ كم<sup>٢</sup> ، أى نحو ٧٠٪ من جملة مساحة مركز فوة الحالية ( ٤٢١٥ كم<sup>٢</sup> ) . ورغم هامشية موقع « مطوبس » العاصمة المقترحة ، بالنسبة لريفها ٠٠ خاصة شمالية ، الا أن جاذبيتها ، وتركيز الخدمات بها تعوضان ذلك ، وعموما فإن أبعد قراها عنها « برج مغيزل » تبعد عنها بمسافة ٢٢ كم ، وفى وجود الطريق المرصوف الذى يربط بينهما ٠٠ فاز آثار التباعد تتضاءل نسبيا ، خاصة ٠٠ وان مجموعة القرى الشمالية فى مركز مطوبس المقترح « منية المرشد » ، برنال ، الجزيرة الخضراء » ، تتمتع بمستوى خدمة صحى وتعليمى واجتماعى طيب ، وهو ما يقلل أيضا من آثار هامشية موقع مطوبس ، وتجدر الإشارة الى احتمال زيادة عدد نواحي مركز مطوبس الى ٢٤ ناحية ، اذا استقر رأى على تقسيم زمامات نواحي « عزب الخليج قبلى ، عزب الوقف بحرى ، منية المرشد » ، وهى النواحي التى تتميز باتساع مساحاتها ، فضلا عن احتمالات الاستصلاح فى أراضيها البائرة .

اما مركز فوة فى وضعه المقترح ، فيشمل ٦ نواحي من نواحيه القديمة ، بالإضافة الى ناحيتين من نواحي مركز دسوق ، هما « الزوامل ، المنشية المستجدة » وأخرى ثالثة من نواحي مركز سيدى سالم هى « أبو غنيمه » (١) ، ويتحقق بذلك أن يصبح موقع مدينة فوة مناسبا لريفها ، وتتضاءل آثار هامشية موقعها بالنسبة لريفها المتسع القديم .

اما مركز « سد خميس » ٠٠٠٠٠٠٠٠ المقترح أن يتكون على حساب مركز سيدى سالم ودسوق ، حيث تحول تبعية ٦ قرى من الأول و ٥ قرى من الثانى ٠٠ كما توضح الخريطة ، ويمكن أن تزيد عدد نواحيه الى ١٥ ناحية ، اذا تم تقسيم زمام نواحي « برية الأصيفر ، الروضة ، فقهاء البحرية ، زبيدة » ، وهى النواحي الكبيرة المساحة داخل المركز المقترح .

(١) هذه النواحي وغيرها ٠٠ مما سيقترح فصلها من مراكز وضمتها لآخرى ، حالات مروضة للبحث أمام لجان التقسيم الادارى فى المحافظة ، بناء على رغبة الأماهى فى تغيير تبعية قراهم الادارية .

وبذلك ٠٠ فان سد خميس ٠٠ يصبح «حاطا بمراكز» مطلوبس ،  
 قوة « من الغرب ، ودسوق من الجنوب ، وسيدي سالم من الشرق ، كما  
 أن العاصمة المقترحة « سد خميس » تتمتع بموقع مناسب للغاية وسط  
 ريفها ، كما يتميز هذا الريف بالتجانس سكانيا وإنتاجيا ، فهو يضم أقل  
 نواحي مركزى سيدي سالم ودسوق كثافة سكانية ، وذلك باستثناء  
 ناحيتى القصابى من توابع سيدي سالم ، والمنذرة من توابع دسوق ، فهما  
 من النواحي العالية الكثافة والإنتاجية .

وبذلك ٠٠ فان مساحة مركز سيدي سالم الحالية ( ٧٢٣ كم<sup>٢</sup> )  
 تتناقص الى ٣١٧٢ كم<sup>٢</sup> ، ويقل عدد نواحيه الحالية من ٢٢ ناحية الى  
 ١٤ ناحية ، يمكن أن تزيد الى ١٧ ناحية ، إذا تم تقسيم نواحي « الحدادى  
 البلاص ، منشأة عباس » من نواحيه كبيرة المساحة .

وربما كان أجدى - من زاوية تقسيم مركز سيدي سالم الى قسمين  
 تشابه ظروفهما الإنتاجية - أن يتم هذا التقسيم عرضيا ، أى من الغرب  
 الى الشرق ، فيتميز القسم الجنوبي - ككل - بالكثافة السكانية العالية  
 والإنتاجية المرتفعة نسبيا ، بينما يتميز الشمالى بأنه أقل كثافة وإنتاجية ،  
 ويكون هذا أجدى من وجهة نظر التنمية والتخطيط ، غير أن موقع سد  
 خميس - المرشحة كعاصمة - قد رجح التقسيم بالشكل المشار اليه ،  
 خاصة وأن سد خميس تتمتع بمواصلات ميسرة مع معظم نواحي مركزها  
 المقترح ، كما أن الأخيرة ٠٠ تتجه اليها كمركز خدمة اقليمى جذاب .

أما مركز دسوق ٠٠٠ فان مساحته الحالية ( ٣١٥٦ كم<sup>٢</sup> )  
 تتناقص الى ( ٢٣٠٢ كم<sup>٢</sup> ) ، ويقل عدد نواحيه من ٣٦ الى ٣١ ناحية ،  
 حيث تفصل عنه أبعد نواحيه عن عاصمته ، وهى مجموعة النواحي  
 الشمالية الشرقية ، وإذا كانت ناحيتى شابة ( ١٤ كم عن دسوق )  
 وكفر أبو زيادة ( ١٦ كم عنها ) تتمتعان بمواصلات ميسرة مع مدينته  
 دسوق ٠٠ عبر طريق كفر الشيخ / دسوق المرصوف ، تقلل من أثر  
 نباعد القريتين مع عاصمتهما دسوق ، إلا أنه إذا تم رصف الطريق  
 الترابى الموصل بينهما وبين سد خميس عاصمتهما المقترحة ، فان  
 المسافة بينهما وبين الأخيرة ٠٠ لا تزيد عن ٨ كم ، وبذلك يضاف الى  
 ميزة سهولة الاتصال بالعاصمة ٠٠ القرب منها أيضا .

ويقترح اضافة ناحيتى « الغنيمى ، حصّة الغنيمى » الى مركز  
 دسوق فصلا عن مركز قلين ، وذلك لسهولة اتصالهما بمدينة دسوق ،  
 وأيضا لالحاق أهالى الناحيتين طلبا لهذا الفصل والضم الإدارى ،  
 لارتباطاتهما التجارية والتسويقية والتعليمية القديمة بمدينة دسوق ،

حيث كانتا ضمن الإطار الإداري لمركز دسوق منذ انشائه في ١٨٤٠ ،  
وحتى إنشاء مركز قلين سنة ١٩٤٧ . أى لأكثر من ١٠٠ سنة .

٣ - وبالنسبة لمركز « الرياض » ، فإن إنشاءه يتم على حساب  
مركز كفر الشيخ فقط ، حيث يتم فصل ١٥ ناحية من نواحي الأخير  
الشمالية ، تتميز بأنها أقل نواحيه كثافة سكانية وإنتاجية ، كما أنها  
أعلاها من حيث معدلات النمو السكاني ، وهى تمثل منطقة المستقبل  
بالنسبة لاحتمالات التوسع الزراعى أفقيا ورأسيا ، خاصة نواحي  
« العباسية ، الحلافى ، الرصيف ، أبو مصطفى » ، وتجدر الإشارة .  
الى امكانية تقسيم النواحي الأخيرة الكبيرة المساحة ، بحيث يرتفع عدد  
نواحي مركز الرياض المقترح الى ١٩ ناحية إدارية .

وبذلك . . فإن مركز الرياض هذا . . يصبح محاطا بمراكز  
« كفر الشيخ » من الجنوب « سيدى سالم » من الغرب ، ومركز  
« الحامول » المقترح من الشرق ، وبحيرة البرلس من الشمال ، ورغم  
موقع العاصمة ، المقترحة « رياض كفر الشيخ » الهامشى بالنسبة  
لريفها المتسع ، الا أن جاذبيتها ويسر مواصلاتها يقللان من أثر ذلك ،  
خاصة . . . اذا امتد الطريق المرصوف كفر الشيخ / الرياض / طلمبات  
٧ وطوله ٢٨ كم نحو الشمال حتى بحيرة البرلس ، أى لمسافة ١٥ كم  
أخرى ، لربط الرياض بناحيتى أبو مصطفى والرصيف وعزبهما الكثيرة  
المتناثرة .

أما « مركز كفر الشيخ » . . فإن مساحته تتناقص - فى حالة  
إنشاء مركز الرياض من ٧٠٠٢ كم<sup>٢</sup> الى ٣٨٥٤ كم<sup>٢</sup> ، كما يقل عدد  
نواحيه من ٦١ الى ٤١ ناحية ، وبذلك يتخلص من تورمه الملحوظ ،  
سمته الإدارية المستمرة منذ انشائه سنة ١٨٢٦ ، ويتخذ شكلا أقرب  
للاستدارة ، تتوسطه - تقريبا - عاصمته كفر الشيخ ، كما يكتسب  
التناسق المطلوب لخطة تنمية اقليمية خاصة ، ويتحقق نفس الغرض  
بالنسبة لمركز الرياض المقترح ، حيث تسود الأخير - أيضا - صفات  
متشابهة عامة من ناحية الكثافة الانتاجية والسكانية .

وهنا تجدر الإشارة - الى اقتراح ضم ٤ نواحي من مركز  
كفر الشيخ الى مركز قلين ، هى « أبعادية الروضة ، رزقة الشناوى ،  
سرو ، محلة موسى » لقربها من مدينة قلين من ناحية ، وللتخفيف عن  
العاصمة كفر الشيخ من ناحية ثانية ، وهذا ما يفسر تناقص مساحته  
وعدد نواحيه الى ما سبق ذكره ، . . وبذلك . . فإن عدد نواحي مركز  
قلين ( ٢٥ ناحية ) يرتفع الى ( ٢٧ ناحية ) ، كما تزيد مساحته من  
١٠٧٢ كم<sup>٢</sup> الى ١١٤٠ كم<sup>٢</sup> .



٤ - ويتم انشاء مركز الحامول على حساب مركز بيلا ، وذلك بفصل نواحي « الحامول » الكفر الشرقى ، كوم الحجر ، البنا وعزبها ، الابعادية البحرية » عن الآخر ، وجملة مساحتها ٦٣٨ كم<sup>٢</sup> ، ويمكن أن يضاف اليها الجزء الشمالى من ناحية كفر الجرايدة ، وبذلك ٠٠ فان المركز المقترح يمكن أن يشمل نحو ٦٠٪ من جملة مساحة مركز بيلا ( ١٠٤٩٣ كم<sup>٢</sup> ) ، وتتمثل فى أكبر نواحي مركز بيلا مساحة وأقلها انتاجية وكثافة سكانية ، وأعلاها من حيث نسبة الأراضى القابلة للاستزراع ، وأكثر قابلية للتغييرات الادارية المفيدة ، حيث يمكن أن تنقسم هذه النواحي الخمسة الى أكثر من ١٥ ناحية ادارية معقولة المساحة ، خاصة ٠٠ وأنها الآن زاخرة بالعزب الكبيرة الحجم ، المتباعدة عن مقار العموديات والخدمات ، والتي تطالب بالحاج بانشاء نواحي ادارية جديدة تشملها .

ويحيط « مركز الحامول المقترح ٠٠ مراكز « الرياض » من الغرب « كفر الشيخ » من الجنوب الغربى « بيلا » من الجنوب ، « بلقاس دقهنيه » من الشرق ، و « البرلس » من الشمال ، ويشابه موقع « الحامول » العاصمة المقترحة ٠٠ موقع كل من الرياض ومطويس الهامشى بالنسبة لريفها ، وكما سبق فان جاذبية الحامول وتركيز خدماتها ويسر مواصلاتها ، من العوامل التى تقلل من آثار هذا الموقع الهامشى ، وإذا أضف الى ذلك ٠٠ أن المسافة بين العواصم الثلاثة المقترحة ٠٠ وبين آخر نقطة فى ريفها شمالا تتراوح بين ٢٠ - ٢٥ كم ، فان مشكلة الهامشية هنا تبدو أبسط بكثير من هامشية العواصم الادارية الحالية ، التى تبعد الآن ٠٠ عن أقصى نقطة فى ريفها شمالا ٠٠ مسافة تبلغ ٥٠ كم بالنسبة لمدينة بيلا ، ٥٥ كم بالنسبة لكفر الشيخ ، و ٣٥ كم بالنسبة لمدينة فوة .

أما مركز بيلا ٠٠ فان مساحته تتناقص الى ٤١١٢ كم<sup>٢</sup> ، كما يقل عدد نواحيه الى ١٣ ناحية ، ويأخذ شكلا أقرب للاستدارة ، وتأخذ غايته بيلا موقعا أقرب للتوسط ، مما يهيئ فرصة أكبر لها لخدمة ريفها المرتبط معها بمواصلات ميسرة .

## ثانيا : اقتراح انشاء محافظة جديدة شمالية ( محافظة البرلس ) :

يأتى اقتراح انشاء محافظة جديدة ٠٠ على حساب محافظة كفر الشيخ ٠٠ أو من باطنها ٠٠ كنتيجة منطقية ، مهدت لها الدراسة السابقة ، بما قدمته من أفكار التنمية الاقتصادية من ناحية ، واقتراحات التقسيم الادارى الجديد من ناحية أخرى ، ولا شك أن اقتراحا مثل

هذا ٠٠ لا يجب أن يطرح ببساطة وسهولة ، ذلك أن هناك نواحي تتجاوز امكانات أى بحث منفرد ، وجوانب تفصيلية قد يكون من غير المتاح دراستها أو حتى الالام بها دون جهود مكثفة ، ولذلك ٠٠ يجب المبادرة والإشارة إلى أن هذا الاقتراح ، إنما تتم مناقشته من خلال مجموعة من الأفكار العامة عن التنمية ومتطلباتها ، وعن اتجاهات التقسيم الإدارى وضروراته ، مع الاسترشاد بقدر ما يمكن بالدراسات التفصيلية عن المحافظة ، مع التأكيد بقابلية الاقتراح للمناقشة والمراجعة والتعديل .

أن المبادئ التى أدت إلى اقتراح إعادة بناء الخريطة الإدارية الحالية وإضافة ٤ مراكز إدارية جديدة هى ذاتها التى تقود إلى هذا الاقتراح أيضا بإنشاء محافظة جديدة فى شمال الدلتا ، تعد بمثابة الأبنة لمحافظة كفر الشيخ ، والحفيدة لمحافظة الغربية ، أى أنها - من وجهة نظر تاريخية - استمرار لظاهرة الاتجاه بخريطة الدلتا الإدارية نحو أطر أكثر تخديدا وخصوصية ، لاستيعاب واقع عمرانى يزداد كثافتا ، بحيث تصبح الحدود الإدارية حدودا اقتصادية أيضا ، تشمل واقعا عمرانيا مناسقا ، وتتيح له فى ظل خطة تنمية مناسبة ، أكبر قدر ممكن من النمو والازدهار .

ويلخص الجدول الآتى ٠٠ الجوانب العامة لاقتراح إنشاء محافظة جديدة من باطن محافظة كفر الشيخ ( السكان حسب تعداد ١٩٦٦ « بالعينة » )

البيان	المراكز الإدارية	النواحي الإدارية	العزب	جملة السكان	المساحة كم <sup>٢</sup>	العاصمة الإدارية
محافظة كفر الشيخ	٥	١٢١	٩٥٢	٧٠٥٧٤٨	١٣١٠ر٤	كفر الشيخ
محافظة البرلس المقترحة	٦	٧٠	١٠٤٨	٤١٥٩٢٩	٢١٨٢ر٢	سيدى سالم

وبدراسة الجدول المرفق يمكن تقرير ما يلى :

١ - تشمل محافظة كفر الشيخ فى وضعها المقترح ، خمسة مراكز إدارية « كفر الشيخ » ، دسوق ، قلين ، فوة ، بيلا ، تبعا لحدودها الإدارية الجديدة المقترحة ، هى تمثل مجموع المراكز الإدارية

القديمة فى المنطقة - باستثناء البرلس - وهى تحتوى المناطق المرتفعة الكثافة سكانيا ، العالية الانتاجية زراعييا ، التى تزرع معظم زماماتها وتصل بها نسبة الاراضى البائرة الى أدناها ، وتقع عاصمتها « كفر الشيخ » بحيث تكاد تتوسط المسافة بين مدينتى دسوق غربا ( ٣٣ كم ) وييلا شرقا ( ٣٥ كم ) ، كما تتميز بمواصلاتها الميسرة بين جميع هذه المدن .

٢ - أما محافظة البرلس المقترحة ، فتشمل ست مراكز اداريه « سيدى سالم ، مطوبس ، سد خميس ، الرياض ، الحامول ، البرلس » ، فى وضعها الادارى الجديد ، وهى تمثل المراكز الجديدة فى المنطقة بالاضافة الى سيد سالم ( ١٩٥١ ) والبرلس ( ١٨٢٦ ) ، وتختلف عن محافظة كفر الشيخ من عدة زوايا .. أهمها .. وجود احتمالات واسعة للتوسع الزراعى الأفقى على حساب أراضيتها البائرة ، خاصة فى أجزائها الشمالية ، كما انها أقل كثافة سكانية ، وان كانت تنمو بمعدلات عالية خاصة فى عقود السنين الأخيرة .

وتقع العاصمة المقترحة « سيدى سالم » فى موقع مناسب بالنسبة لريفها ومدنها على السواء ، وان كان ينقصها الاتصال البرى الميسور والمباشر بالعواصم المقترحة ، وتوضح خريطة المواصلات للمحافظة .. أن هناك وصلة مرصوفة تصل بين سد خميس وسيدى سالم ، وأخرى تصل بين الحامول وبلطيم ، وهنا يجدر طرح الاقتراح الخاص .. برصف الوصلة الترابية بين مطوبس وسد خميس ، والثانية بين سيدى سالم والحامول ، .. ومن ناحية أخرى .. يجب استكمال الوصلة الجديدة مطوبس / أبو غنيمه ، بحيث يصل بين مطوبس وبلطيم مورا بسد خميس وسيدى سالم والرياض والحامول ، ان مثل هذا الخط الحديدى البرى .. يعد من أهم عوامل تنمية المناطق المستصلحة الشمالية ، حيث يصلها مباشرة بغرب الدلتا فالاسكندرية ، كما انه كفيل بأن يمد هذه العواصم بفائض انتاج هذه المناطق النامية ، مما يسرع بمعدلات نموها .. بل ان هذا الخط البرى الحديدى ، يمكنه أن يربط بين جميع المراكز الادارية فى المنطقة .. القديمة منها والمقترحة ، وجميع مدنها الحالية والمحتملة .

٣ - تشمل محافظة كفر الشيخ ١٢١ قرية ، أى نحو ٦٤٪ من مجموع قراها الحالية ، بينما لا تحتوى سوى ٩٥٢ من التوابع ، أى أقل من نصف عدد التوابع ، وبذلك .. فان متوسط عدد التوابع لكل قرية هو ثمانية فى محافظة كفر الشيخ يرتفع الى ١٥ لكل قرية فى محافظة البرلس المقترحة ، وتشير هذه الحقيقة الى وجه من أهم أوجه

الاختلاف بين المحافظتين في صورتهم المقتوحة ، فالمحافظة الجنوبية « كفر الشيخ » تستوعب نطاق السكن القديم في المنطفه ، حيز القرى المتجمعة ، وحيث لا تستوعب التوابع من سكانها سوى نسبة تتراوح بين ٢٥ - ٥٠ ٪ ، أما المحافظة الشماليه « البرلس » فتشمل نطاق السكن الحديث في المنطقة ، اى الذى بدأ تعميره منذ منتصف القرن ١٩ ، وكانت العزبة هى المظهر السكنى المتاح - آنذاك - لاستكمال استصلاح الاراضى البائرة ، ولذلك ٠٠٠ فان معظم قراء الحالية ٠٠٠ انما نمت من عزب لا يزيد عمرها عن مائة سنة ، وكلما اتجهنا شمالا ٠٠ كلما سادت العزبة كنمط سكنى غالب ، حتى تخلو الأجزاء الشمالية من القرى تماما - باستثناء مركز البرلس وقرى فرع رشيد - وهنا تستوعب التوابع بنسبة بين ٥٠ واكثر من ٧٥ ٪ من سكان النواحي ، ان هذا الاختلاف يعبر ببساطة عن أن المحافظة الشمالية لم تستكمل - بعد - مظاهر جغرافيتها العمرانية ، فما تزال معظم مراكز سكنها أقل من قرية ، وما تزال جميع مراكز خدمتها - باستثناء سيدى سالم وبلطيم - أقل من مدينة ، والواقع ان معدلات النمو الحالية لهذه الأجزاء الشمالية ، تشير الى احتمال تحول عدد متزايد من عزبها الى قرى ، كما تشير الى احتمال تحول مراكز خدمتها الى مدن ، سواء صاحب ذلك القرارات الادارية اللازمة ، أو تم ذلك من خلال النمو السكانى السكنى الزراعى فقط ، على أية حال ٠٠ فان هذه الصورة المحتملة ٠٠ تقتضى متابعتها بالدراسة الكافية ، حتى يمكن توزيع مراكز الخدمة التعليمية والصحية والاجتماعية ، توزيعا عادلا ٠٠ فى اطار تخطيطى مناسب ، ولا تحرم العزب - كما هو شائع الآن - من الخدمات الضرورية لمجرد أنها لم تصبح قرية من الناحية الادارية ، بينما هى من الناحية السكانية ، والسكنية - لا نقل عن قرى المنطقة الأخرى .

ولذلك ٠٠ فان الأبحاث والدراسات المقبلة لابد وأن تتجه الى توضيح وتحديد الخدمات الضرورية التى يمكن أن تشملها هذه الاطارات الادارية الجديدة المقتوحة ، ضمن خطة عادلة علمية لتوزيعها مكانيا ٠٠ فيما يعرف بخرائط توزيع الخدمات الاقليمية ، وهى خرائط مركبة مباشرة فوق الخريطة الادارية المقتوحة .

## المراجع

---

### المراجع العربية :

#### أحمد الحنة :

الزراعة المصرية في عهد محمد علي ، دار المعارف ، القاهرة ،  
• ١٩٥٠

#### أدولف ارمان وهرمان رانكة :

مصر والحياة المصرية في العصور الفرعونية ترجمة عبد المنعم  
أبو بكر ومخرم كمال ، النهضة المصرية ، القاهرة ،  
• ( غير مؤرخ )

#### السيد صبرى :

تحليل نتائج التعداد في مصر ، القاهرة ، ١٩٣٥ •

#### ن . س . جيران :

الأحوال الزراعية في القطر المصرى أثناء حملة نابليون  
بوناپرت ، ترجمة يوسف نحاس و خليل مطران ، القاهرة ،  
• ١٩٤٢

#### جمال حمدان :

« في العلاقات بين موارد المياه والعمران في مصر » ، مجلة  
مرآة العلوم الاجتماعية ، مايو ١٩٥٩ •

#### جيمس بيكى :

الآثار المصرية في وادى النيل ( مترجم ) ، وزارة الثقافة  
والارشاد القومى ، ١٩٦٣ •

#### حسين خلاف :

التجديد في الاقتصاد المصرى الحديث ، مطبعة احياء الكتب  
العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ •

راشد البراوى ، محمد عlish .:

- « التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث » .  
القاهرة ، ١٩٤٥ .

سعيد ماهر :

- محافظات الجمهورية العربية المتحدة فى العصر الاسلامى  
مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ٢١ .

شكرى المراغى :

- الصناعات الريفية كوسيلة لعملية لاصلاح القرى فى ريف  
مصر ، المؤتمر الزراعى الثالث ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

عبد السلام هاشم وحسين الشربيني :

- « أعمال الري فى مصر » ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ،  
١٩٥٧ .

عثمان أباطة :

- « اصلاح الاراضى البور وكيفية توزيعها » ، من أبحاث المؤتمر  
الزراعى ، ١٩٣٦ .

على مياوك :

- « الخطط التوفيقية » ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٨٨٧ م .  
١٣٠٥ هـ .

محمد أمين حسونه :

- « مصر والطرق الحديدية » ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

محمد رمسى :

- « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية » منذ عهد قدماء  
المصريين ، الى سنة ١٩٤٥ ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ،  
القاهرة ، ١٩٥٨ .

محمد صفى الدين أبو العز :

- « مورفولوجية الاراضى المصرية » ، دار النهضة المصرية ،  
القاهرة ، ١٩٦٢ .

**محمود حامد محمد :**

« الظواهر الجوية فى القطر المصرى » ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

**نجيب ابراهيم :**

« تقدم الرى والصرف فى القطر المصرى » ، من أبحاث المؤتمر  
الزراعى ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

**وليم سليمان :**

« الفلاح المصرى وملكية الأرض » ، مجلة الطليعة ، العدد  
الأول ، يناير ١٩٦٥ .

**المراجع الأجنبية :**

Abu-Lughod J. L. (April, 1965) «Urbanization In Egypt, present  
State and Future Prospects, Economic Development and  
cultural change», Vol. xiii, No. 3.

Ball J. (1942) «Egypt», In Classical Geographers, Cairo.

Bear Gabriel (1962) «History of Land Ownership In Modern Egypt»,  
Oxford.

Charles Issawi (1963) «Egypt In Evolution : An Economic Analysis»,  
Oxford.

Finberg I (1958) «Exploring Villages,» London.

Hamdan G. M. «1959» «Studies In Egyptian Urbanism», The Re-  
naissance Book shop, Cairo.

Rent Dument, (1957) «Types of Rural Economy» Studies In World  
Agriculture, London.





# فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة . . . . .	٣
<b>القسم الأول :</b>	
« البرية » . . . . .	٨
<b>القسم الثانى :</b>	
« الاطار الطبيعى » . . . . .	١٨
<b>القسم الثالث :</b>	
« تنويعات دلتاوية » . . . . .	٣٨
<b>القسم الرابع :</b>	
نحو خريطة ادارية جديدة للدلتا المصرية - تنظيم العلاقة بين الريف والمدينة على التطبيق على محافظة كفر الشيخ	٨٢
<b>المراجع :</b>	
المراجع العربية . . . . .	١٠٧
المراجع الاجنبية . . . . .	١١٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٥٤٦ / ١٩٨٦

ISBN ٠ - ٨٤٨ - ٠١ - ٩٧٧ -



تتناول هذه الدراسة منطقة « البرارى » تاريخيا ، « وشمال  
الدلتا » جغرافيا ، « وكفر الشيخ » تنظيميا وإداريا ، وهى  
تسميات لمنطقة واحدة فى مصر ، وإن تفاوتت حدودها فيما  
بينها قليلا .

وهذه المنطقة من دلتا النيل ، تقدم ميدانا نموذجيا لتوضيح  
تأثير العوامل الحضارية والتاريخية فى خريطتها العمرانية ، كما  
تشير التساؤلات والاحتمالات حول امكانية ضبط مسارات  
نموها ، والنخطيط لها ضمن خطة تنمية اقليمية متكاملة .